

الدروس الرمضانية

أ.د/ عبدالله بن عمر الدميحي

الحلقة (١)

[استقبال شهر رمضان]

الحمد لله مقدر الأقدار، ومكّور النهار على الليل ومكّور الليل على النهار، سبحانه وتعالى من إله عظيم: {يخلق ما يشاء ويختار}[القصص:٦٨] اختار لنا من أيام دهرنا ما نتعرض فيه لنسائم رحمته، وعزائم مغفرته، في مواسم فاضلة يخلف بعضها بعضاً؛ لتتوب إليه ونستغفره، ونذكر آلاءه فنشكره: {وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً}[الفرقان:٦٢].

والصلاة والسلام على إمام العابدين، وسيّد الذاكرين الشاكرين، الذي علّم العالمين كيف يرضون مولاهم، ويعمرون دنياهم لتعمير أخراهم، فيغنمون الدين والدنيا معاً، ولا يضيعون أيام الطاعات التي تختزن في ساعاتها.

ومن هذه المواسم المتعاقبة مع الأعوام؛ شهر الصيام الذي عظّمه الله وكرّمه، وشرف صوّامه وقوّامه، وخصّهم فيه من الأجور ما ليس لغيره من الشهور، حتى جعل أجر صائميّه متجاوزاً العشرة أمثال، والسبعمائة ضعف، إلى ما يزيد على ذلك مما لا يُحَدّ ولا يعدّ فقال عليه الصلاة والسلام:

متحدثاً عن ربه عز وجل: ((كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به)).^١
فكل الأعمال يمكن أن تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه عند حدّ، ولا يتوقف عند عدّ؛ لأن الصيام تعبّد بالصبر {إنما يوفّي الصابرون أجرهم بغير حساب} [الزمر: ١٠] وقد يتضاعف أجر الصوم أضعافاً أخرى لأسباب أخرى.

أيها الإخوة الأعزاء:

من فضل الله تبارك وتعالى علينا، ومن نعمه التي لا تحصى، ومن مننه الكبرى؛ أن يمدّ في عمر عبده حتى يبلغه هذا الشهر المبارك، هذه النعمة التي حرّمها أناس انقضت آجالهم وانتقلوا من هذه الدار، دار العمل إلى الدار الآخرة دار الجزاء. فهم الآن في قبورهم مرتنون بأعمالهم، يتمنى كل واحد منهم الرجعة ولو لحظة ليستكثر من الحسنات ويتدارك ما فات {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ٩٩].

أيها الأخ الحبيب:

^١ صحيح البخاري ١٩٠٤ (٣/ ٢٦)؛ صحيح مسلم ١١٥١ (٢/ ٨٠٦).

سيأتي يوم نكون مع أولئك، طال العمر أو قصر، فعلينا الاستعداد ليوم
المعاد، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وعمل
صالح.

ولنقدّر أن هذا الشهر هو آخر شهر نشهده فماذا نحن صانعون؟! والله
المستعان.

كما أن من المحرومين من بركة هذا الشهر العظيم من هو معنا في هذه
الدنيا ولكنه حُرِمَ الهداية والتوفيق؛ فلم يعرف قدر هذا الموسم العظيم، ولم
يرفع بذلك رأساً {يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى
لَهُمْ} [محمد: ٢١].

أمّا من حبسهم العذر بمرض أو غيره من الموانع فهم معكم بالأجور وإن
لم يعملوها ليكتب لهم ما كانوا يقومون به أيام الصّحة والعافية، نسأل الله
أن يمنّ بالشفاء العاجل على كل مريض وعاجز وأن يعظم لهم الأجر
والثوبة، وأن يمنّ بالعافية والسلامة على كل مبتلى، وبالهداية على كل من
حاد عن الطريق.

قال صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة:
(إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم))

قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟! قال: ((وهم بالمدينة، حسبهم العذر)).^٢

وقال تعالى: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [التوبة: ٩٢].

فينبغي لك أخي المسلم أن تعرف قدر هذه النعمة التي أنت فيها، وأن تقوم بحق الله عليك فيها، وتقوم بشكرها واستثمارها على أكمل وجه، وصم صيام مودّع لهذه الدنيا.

إن شهر رمضان فرصة عظيمة للتوبة والإنابة، وفرصة ثمينة لمحاسبة النفس على تفريطها وتقصيرها، وفرصة عظيمة لتدارك ما فات من العمر، والتزوّد بزاد التقوى لاستثمار ما بقي قبل حلول الأجل.

أيها الإخوة الكرام:

إن أزمنة القربات ومواسم الخيرات هي محطات تزوّد بوقود الإيمان، تعين المسلم في سيره إلى ربه ومولاه، وتعجّل في رفعته وقربه من رضى خالقه ومولاه، وتنقله مراحل إلى الأمام، وإلى الرقيّ في درجات العبوديّة إذا هو أحسن استثمارها، وشمّر عن ساعد الجد في اغتنامها في طاعة ربه ومولاه.

^٢ صحيح البخاري ٢٨٣٩ (٤/٢٦).

وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقوم بالاستعداد لهذه
المواسم العظيمة، ومنها؛ موسم رمضان؛ فيكثر من الصوم قبله تهيئةً
للفس على استقبال رمضان لتكون مقبلة على الخير، نشطة في الطاعة،
فتغنم الفرصة كاملة، وتهتبل الموسم كله.

لذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن صيام النبي صلى الله
عليه وسلم للنوافل: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى
نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت استكمل صيام شهر
إلا رمضان، وما رأيت أكثر صياماً منه في شعبان).^٣

وفي رواية: (ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان
يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً).^٤

وقد علّل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد عند النسائي وغيره من
حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: لم أرك تصوم شهراً من الشهور
ما تصوم من شعبان، قال: ((ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب
ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع
عملي وأنا صائم)).^٥ وهذه العلة جاءت في حديث تخصيص صيام الاثنين

^٣ صحيح البخاري ١٩٦٩ (٣/ ٣٨)

^٤ صحيح مسلم ١١٥٦ (٢/ ٨١١).

^٥ أخرجه النسائي بإسناد حسن ٢٣٥٧ (٤/ ٢٠١).

والخميس فقال: ((ذاك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحبّ أن يعرض عملي وأنا صائم))^٦

فرفع الأعمال إلى الله تعالى على ثلاث حالات:

١- رفع سنوي في شعبان.

٢- ورفع أسبوعي في الاثنين والخميس.

٣- والثالث رفع يومي كما قال صلى الله عليه وسلم: ((...إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يُخَفِّضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ))^٧.

قال بعض أهل العلم: " والصوم من شعبان، وصوم الست من شوال مثل السنن الرواتب بالنسبة للصلاة المكتوبة، فمثل الراتبة القبليّة ما يكون من صوم في شعبان ومثل الراتبة البعدية ما يكون من صيام الست من شوال".

ومعلوم أنّ النوافل مرّقات لنقص الفرائض كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة، الصلاة المكتوبة، فإنّ أتمّها، وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك))^٨.

^٦ رواه أحمد بإسناد حسن ٢١٧٥٣ (٣٦ / ٨٥) والنسائي ٢٣٥٨ (٤ / ٢٠١) وصححه الألباني.

^٧ صحيح مسلم ١٧٩ (١ / ١٦١).

^٨ رواه أحمد ٧٩٠٢ (١٣ / ٢٧٩)؛ سنن ابن ماجه ١٤٢٥ (١ / ٤٥٨) وصححه الألباني.

وهذا يدلّ على أهمية النوافل، وحاجة المسلم إليها لاستكمال ما نقص من الفرائض، وخاصّة في الأوقات التي يغفل فيها الناس عادةً عن الطاعات فينبغي إحيائها بالنوافل.

وقد ورد النهي عن تخصيص النصف الثاني من شعبان بصيام التطوع، وذلك إما على سبيل الكراهة أو التحريم لحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا))^٩.

ويُستثنى من ذلك من له عادة صيام كالاثنين والخميس، أو صيام يوم وإفطار يوم، أو وصل الصيام بما قبل النصف.

كما ورد النهي عن صيام يوم الشك إلا ما استثني أعلاه، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تقدّموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه))^{١٠}.

- كما ينبغي التنبيه إلى أنه لم يصحّ شيء من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تخصيص ليلة النصف من شعبان بمزيد عبادة من صيام يومها - على وجه الخصوص - أو قيام، أو صدقة، أو عمرة، أو غير ذلك،

^٩ رواه الترمذي ٧٣٨ (٣/ ١٠٦) وصححه الألباني.

^{١٠} صحيح مسلم ١٠٨٢ (٢/ ٧٦٢).

كما قرر ذلك علماء الحديث المحققون قديماً وحديثاً. وما ورد فيها من مرفوع فهو موضوع أو ضعيف لا تقوم به حجة.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله تعالى: "وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه؛ لا في فضلها ولا في نسخ الآجال بها، فلا تلتفتوا إليها ..".^{١١}

وقال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: "ليس فيها أحاديث صحيحة، كل أحاديثها ما بين موضوع وضعيف ..".

ولم يصح في شعبان غير الصيام كما تقدم. وحديث رفع الأعمال في شعبان لا دلالة فيه على تخصيص ليلة النصف منه بمزيد عبادة عن غيرها من الليالي.

اللهم بلغنا رمضان، وارزقنا حسن استقباله، وأعنا على صيامه وقيامه إيماناً واحتساباً، واجعله شاهداً وشفيعاً لنا، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

^{١١} أحكام القرآن (٤/ ١١٧).

الحلقة (٢)

[الفرح والاستعداد لرمضان]

الحمد لله الذي منّ علينا بمواسم الخيرات، لترفع لنا فيها الدرجات، وتكفّر عنا بها السيئات، أحمده تعالى وأشكره كثير العطايا وجزيل الهيئات، وأشهد ألا إله إلا الله ربّ الأرض والسماوات، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أزكى البريّات، صلى الله وسلم وبارك على آله وأصحابه وذريّته وأزواجه الطاهرات.

أما بعد:

فقد أظننا شهر كريم وموسم عظيم، تضاعف فيه الدرجات، وتغفر فيه الذنوب والخطيئات، وتفتح فيه أبواب الجنات، وينادي فيه: ((يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر)).^{١٢}

والمؤمن يحثه إيمانه على الفرح بمواسم الطاعات والقربات، وأداء الفرائض والواجبات لما فيها من تنوع الطاعات والقربات وأسباب المغفرة وتكفير السيئات والتنافس في الدرجات التي تقرب العبد إلى ربه تبارك وتعالى.

ولذلك قال الله تعالى: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [يونس: ٥٨] وهذه الآية تدل على أن الفرح بما أنزل الله تعالى

^{١٢} مسند أحمد ١٨٧٩٥ (٣١ / ٩٣)؛ سنن الترمذي ٦٨٢ (٣ / ٥٨).

من القرآن وما دعا إليه من فرائض الإسلام وأركانه وامتّماته ومن أهمّها-
الصيام- هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها.

لما قدم خراج العراق إلى عمر خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعدّ الإبل
فإذا هو أكثر من ذلك فجعل عمر يقول: الحمد لله ويقول مولاه: يا أمير
المؤمنين، هذا والله من فضل الله ورحمته. فقال عمر: كذبت ليس هذا هو.
يقول الله: بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون،
وهذا مما تجمعون.^{١٣}

فنعمة الدين المتّصلة بسعادة الدارين لا نسبة بينها وبين جميع ما في الدنيا
مما هو مضمحل زائل عن قريب. وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته
لأن ذلك يوجب انبساط النفس ونشاطها وشكرها لله تعالى وقوتها، وشدة
الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود.

بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذّاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا
مذموم كما قال تعالى عن قوم قارون عندما قالوا له: { لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْفَرِحِينَ } [القصص: ٧٦] وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم
من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ } [غافر: ٨٣].

^{١٣} تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٠).

وأكثر الناس يفرحون بما تعلق بالدنيا دون الآخرة قال تعالى: { وَفَرِحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ } [الرعد: ٢٦].

وبعض الناس هداهم الله لا يعدو فرحهم برمضان إلا أن يكون فرحاً
بالطعام والشراب وتنوع الموائد في الليل والسهر والنوم والكسل في النهار،
أو بتعليق الخرق والفوانيس على الأبواب والطرقات، ومن التجار من لا
يتجاوز فرحهم برمضان زيادة المبيعات وتنوع المستهلكات فيتنافسون في
التخفيضات والدعايات لجلب أكبر عدد ممكن لأسواقهم وترويج
بضائعهم.

وهناك صنف أسوأ حالاً مما تقدّم ممن يقوم بتخصيص رمضان بالملهيات
والمغريات والبرامج التافهات، وبثّ المسلسلات الرمضانية، الساخرة
والماجنة والملهية. يغتالون بها فرحة المؤمنين برمضان وبما شرعه الله لبثّ
سمومهم وإشغال المسلمين عما ينفعهم.

فعلى المسلم أن يعرف قدر هذا الموسم العظيم ويستثمره للتجارة مع الله
تعالى، ولا يفرط في ساعات يومه وليلته، فما مضى منها لا يعود.

وعليه أن يجتنب هذه الملهيات، وأن يحذرهما ويحذر منها قال تعالى:
{ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } [الفرقان: ٧٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)).^{١٤}

وشهر رمضان بين أشهر السنة كيوسفَ بين أحد عشر كوكبا، فلا تقتلوه ولا تلقوه في الجبِّ، ولا تبعوه بثمان بخس، بل أكرموا مثواه، فعسى أن ينفعنا، أو نتخذه شفيحاً يوم الحساب.

وعلى المسلم أن يعدَّ العدة لاستقبال هذا الوافد العظيم، وعليه على سبيل الخصوصية:

١- عقد العزم الجازم على الاجتهاد بكل وسعه في هذا الموسم العظيم ليكون حاله فيه مع الله أحسن من حاله قبل رمضان.

٢- التوبة النصوح والإقلاع عن كل ما كان عليه من الذنوب والآثام.

٣- المبادرة إلى قضاء ما كان عليه من رمضان الفائت، وعدم التسويف حتى يحل رمضان، قالت عائشة رضي الله عنها: ((كان يكون عليّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان)).^{١٥}

٤- التحلّل من المظالم وحقوق الآخرين.

٥- كثرة الاستغفار والتضرّع إلى الله تعالى بأن يبلغه رمضان، وأن يعينه على صيامه وقيامه إيماناً واحتساباً.

^{١٤} صحيح البخاري ١٩٠٣ (٣/٢٦).

^{١٥} صحيح البخاري ١٩٥٠ (٣/٣٥)؛ صحيح مسلم ١١٤٦ (٢/٨٠٢).

٦- التخفف من الأشغال الملهيات للتفرغ للعبادة.

٧- التفقه في أحكام الصيام ليعبد الله على بصيرة وعلم ليسلم له صيامه وعبادته؛ فإن العلم قبل القول والعمل، ومن عمل عملاً ليس عليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مردود على صاحبه.

٨- يتهياً لتنظيم وقته، وتخصيص أكبر جزء منه لتنوع العبادات، وأهمها علاقته بكتاب ربّه، وتحديد ورد يلتزمه يومياً أو يقضيه لفواته ليحقق عدة ختمات في شهر القرآن.

وقبل ذلك وبعده؛ يتضرع إلى الله تعالى بأن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وقد كان سلفنا الصالح يتشوفون لهذا الموسم العظيم، ويتضرعون إلى الله تعالى أن يبلغهم رمضان، فهذا معلى بن الفضل رحمه الله يقول عنهم: " يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم " ١٦.

وكان من دعائهم كما يقول يحيى بن أبي كثير رحمه الله: " اللهم سلّمنا إلى رمضان، وسلم لنا رمضان، وتسلمه منا متقبلاً " ١٧.

١٦ لطائف المعارف (ص ٢٣٥).

١٧ رواه النسائي ٢١٠٦ وأحمد ٩٢١٣ صحيح لغيره.

اللّهُمَّ اعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللّهُمَّ اعنّا على اغتنام
أوقاتنا بما يقربنا إليك زلفى، اللّهُمَّ سلّمنا إلى رمضان وسلّم لنا رمضان،
وتسلّمه منّا متقبلاً.

اللّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين الأحياء منهم والميتين، اللّهُمَّ صلّ
وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٣)

[الاستبشار بمقدم رمضان]

الحمد لله الذي خصّ بالتشريف والتفضيل بعض مخلوقاته، { وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ } [القصص: ٦٨].

وأصلي وأسلم على نبينا المصطفى المختار، وعلى آله وصحبه أجمعين،
وعلى التابعين وتابعيهم ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى قد امتنّ علينا بشهر عظيم ووافدٍ كريم، قد أظننا
زمانه وأدر كنا أوانه، وإنّ بلوغ هذا الشهر لنعمة عظيمة ومنّة جسيمة من
المولى تبارك وتعالى يختص بها من يشاء من عباده.

يقول ابن رجب رحمه الله: "بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على
من أقدره الله عليه ويدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم ثم
مات الثالث على فراشه بعدهما فرؤي في المنام سابقا لهما فقال النبي صلى
الله عليه وسلم: (أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة وأدرك رمضان

فصامه؟! فوالذي نفسي بيده إن بينهما لأبعد مما بين السماء والأرض) خرجه الإمام أحمد وغيره " ١٨.

لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يفرح بقدم رمضان ويبشّر أصحابه رضوان الله تعالى عليهم بدخوله، مذكراً بفرض صيامه وبعرض فضائله وخصائصه، وحثاً لهم على اغتنام أوقاته، وبعثاً فيهم المنافسة والمسابقة لاغتنام الحسنات بفعل الطاعات؛ فقال صلى الله عليه وسلم: ((أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم)). ١٩.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة)). ٢٠.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين)). ٢١.

^{١٨} لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٨).

^{١٩} سنن النسائي ٢١٠٦ (٤/ ١٢٩) وصححه الألباني.

^{٢٠} سنن الترمذي ٦٨٢ (٣/ ٥٨) وصححه الألباني.

^{٢١} صحيح البخاري ١٨٩٩ (٣/ ٢٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)).^{٢٢}

نعم والله؛ إنها لبشائر عظيمة، كيف لا يبشّر المؤمن بشهر يفتح الله فيه أبواب جناته؟!.

كيف لا يبشّر المذنب بشهر يغلق الله فيه أبواب النار.
كيف لا يبشّر فيه العاقل بشهر يُغلّ فيه مردة الشياطين.
كيف لا يبشّر العابد بليلةٍ، العبادة فيها خير من ألف شهر.
كيف لا يبشّر الصائمون بباب الريان الذي لا يدخله إلا الصائمون.
إنها لبشائر عظيمة، ومنح ربانية لمن وفقه الله تعالى لاغتنام هذا الموسم العظيم واستثمر أوقاته في الطاعات والقربات.

فحريّ بأهل العلم والفضل، وأهل التعليم والتربية، والقائمين على وسائل الإعلام والتوجيه أن يبشّروا الناس برمضان، ويعرّفوهم بفضله وبركاته، ويدلّوهم على حسن استثمار أوقاته وتحصيل حسناته ليعمّ البشر والسرور، ويزداع الفرح والأنس بقدوم هذا الموسم العظيم، وتكون النفوس مشرّبةً ومتهيّأة لاستقباله، ومنشغلة بالبحث عن الكيفيات المثلى

^{٢٢} صحيح البخاري ١٨٩٦ (٣/٢٥).

لاستثمار نفحاته، وجني ثمراته، بدلاً من انغماسها في توفير الملذّات
والمطعومات بصورة تكاد تُنزل في موقع الغايات فتضعف بذلك مقاصد
الصيام، وتفوّت على كثير منهم تلك الثمرات.

نعم والله إنها لبشائر..

فهنيئاً لمن أدرك شهر رمضان سليماً معافى؛ فعزم على الصيام والقيام،
وروّض نفسه على الرقيّ للمعالي والصعود للعوالي، وهياً نفسه للوصول
إلى أعلى الأمانى.

- هنيئاً لمن أدرك رمضان فاشتاقت نفسه إلى الجنات، وتطلّع إلى المغفرة
والرحمة والرضوان؛ فاجتهد بما يليق بشهر الصيام والقيام.

- هنيئاً لأصحاب الهمم العالية والأهداف السامية، والغايات النبيلة
لبذل الجهد والاجتهاد، والعزم والإخلاص والمنافسة في أعمال الخيرات.
اللّهم بارك لنا في رمضان، وتقبل حسن استقبالنا له، وأعنا على صيامه
وقيامه إيماناً واحتساباً، واجعلنا فيه من الأتقياء الأنقياء العتقاء من النار
ووالدينا وأحبابنا والمسلمين. اللّهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين الأحياء
منهم والميتين.

الله أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين في كل مكان، واجعل لنا ولهم من
كل همٍّ فرجاً ومن كل ضيقٍ مخرجاً ومن كل بلاء عافية.

اللّهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٤-٥)

[من فضائل رمضان وخصائصه]

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن بهديه اقتفى.

أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى قد خصّ هذا الشهر الكريم بخيرات وفضائل وخصائص امتاز بها عن غيره من الشهور والأيام: {وربك يخلق ما يشاء ويختار}.

وفضائل هذا الشهر كثيرة يصعب حصرها واستقصاؤها؛ لكن لعلنا في هذه العجالة نشير إلى بعضها تحفيذاً للهمم، وشحذاً للعزائم؛ للتشمير عن ساعد الجدّ والاجتهاد، واغتنام مواسم الخير والبركات، فهذا شهر كريم وموسم عظيم، يعظم الله فيه الأجر، ويجزل المواهب، ويفتح أبواب الخير فيه لكل راغب، شهر الخيرات والبركات، شهر المنح والهبات، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

ومن أبرز هذه الفضائل والخصائص لهذا الشهر الكريم:

الأولى: أنه الشهر الذي اختاره الله تعالى لنزول القرآن فيه.

قال تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ } [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } [الدخان: ٣].

وقد جاء تحديد هذه الليلة المباركة في قوله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١] ويعني ذلك أن ابتداء نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر، أو أنه أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفزقاً، قال تعالى: { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا } [الإسراء: ١٠٦] فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: " أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يُوحِيَ منه شيئاً أوحاه " ٢٣.

قال ابن جرير رحمه الله: " نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، في ليلة القدر من شهر رمضان. ثم أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه " ٢٤. واستند في ذلك إلى السنة وأقوال أهل التأويل.

ولذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة بالقرآن في رمضان، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (كان رسول الله

^{٢٣} تفسير الطبري (٣/ ٤٤٦).

^{٢٤} تفسير الطبري (٣/ ٤٤٥).

صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة).^{٢٥}

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: "دَلَّ الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ منه، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان".^{٢٦} وقد ضرب لنا السلف، وصالحو الخلف أروع الأمثلة في العناية بختمات القرآن في رمضان حتى فاقت عدد أيامه في الصلاة وفي غيرها.

الخصلة الثانية: أنه الشهر الذي اختصه الله بفريضة الصيام التي هي أحد أركان الإسلام الخمسة قال الله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: ١٨٥] وقال صلى الله عليه وسلم: ((بني الإسلام على خمس، على أن يعبد الله، ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)).^{٢٧}

^{٢٥} صحيح البخاري ١ (٨ / ١).

^{٢٦} لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٦٩).

^{٢٧} صحيح البخاري ٨ (١١ / ١)؛ صحيح مسلم ١٦ (١ / ٤٥).

وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على صيامه فقال: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).^{٢٨}
ومعنى (إيماناً) أي إيماناً بالله تعالى وتصديقاً بوعده تعالى، و(احتساباً) للأجر والثواب عند الله، لا لغرض آخر من أغراض الدنيا.
الخصلة الثالثة: أن من قام رمضان إيماناً واحتساباً لله؛ غفر له ما تقدم من ذنبه.

وقيام الليل (شرف المؤمن) وذلك في ليالي العام، وقد أمر الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا } [الإسراء: ٧٩]، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نُصِّفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا } [المزمل: ١-٣].
ولقيام ليالي رمضان خصوصية عن بقية ليالي العام فقال صلى الله عليه وسلم: ((من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).^{٢٩}
وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه بعض ليالي رمضان ثم ترك ذلك إشفاقاً على أمته من أن يفرض عليها وقال: ((خشيت أن تفرض عليكم)).^{٣٠}

^{٢٨} صحيح البخاري ٣٨ (١/ ١٦)؛ صحيح مسلم ٧٦٠ (١/ ٥٢٣).

^{٢٩} صحيح البخاري ٣٧ (١/ ١٦)؛ صحيح مسلم ٧٥٩ (١/ ٥٢٣).

^{٣٠} صحيح البخاري ١١٢٩ (٢/ ٥٠)، صحيح مسلم ٧٦١ (١/ ٥٢٤).

ولما أُمن هذا الجانب بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي والتشريع أمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوموا بالناس في شهر رمضان، فكانت سنة متبعة إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الخصلة الرابعة: فيه ليلة القدر، خير من ألف شهر.

وليلة القدر في رمضان بلا خلاف، لأن الله تعالى قال: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } [البقرة: ١٨٥]، وقال عز اسمه: { نَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ } [القدر: ١-٥].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال صلى الله عليه وسلم: ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).

وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم)).^{٣١}

^{٣١} تقدم تخريجه.

الخصلة الخامسة: ومن فضائله أنه تُكفّر فيه السيئات، وتغفر فيه الخطيئات.

كما تقدم الوعد لمن صامه وقامه، وقام ليلة القدر إيماناً واحتساباً؛ بغفران ما تقدم من ذنبه.

ولا شك أن الإنسان معرّض للذنوب والخطايا؛ فهو بحاجة إلى ما يمحو الله تعالى به من السيئات، ويعلي به الدرجات؛ فكان رمضان ممحاة لهذه الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: ((الصلاة الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن، ما لم تغش الكبائر)).^{٣٢}

وقد عاب النبي صلى الله عليه وسلم على من أدرك رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له، لكثرة أسباب المغفرة في هذا الشهر العظيم، نعوذ بالله من الحرمان، قال صلى الله عليه وسلم: ((رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له)).^{٣٣}، وفي حديث كعب بن عجرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احضروا المنبر) فحضرنا فلما ارتقى درجة قال: ((آمين)) فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: ((آمين))، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: ((آمين)) فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه! قال: ((إن جبريل عرض لي فقال: بعداً لمن أدرك

^{٣٢} صحيح مسلم ٢٣٣ (١/٢٠٩).

^{٣٣} رواه الترمذي (٣٥٤٥) وصححه ابن خزيمة وابن حبان والذهبي.

رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين، فلما ارتقيت الثانية قال: بعداً لمن ذكرت عنده ولم يصلّ عليك، قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعداً لمن أدرك أبواه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة)).^{٣٤}

وهذا التكفير إنما هو لصغائر الذنوب، وما أكثرها وما أخطرها، ولذلك كان هذا التكفير مشروطاً باجتنب الكبائر التي يلزم لها التوبة النصوح.

الخصلة السادسة: فيه مضاعفة الأجر أكثر من غيره من الشهور.

وذلك لأن الأجر تُضاعف بأسباب، ومنها شرف الزمان وشرف المكان، ولا أشرف من رمضان؛ فلذلك كانت الأجر فيه مضاعفة وأعظم عند الله تعالى أجراً منها في غيره.

وأعظم الأعمال الصالحة في رمضان هو الصيام فأجره غير مقيّد بعدد كما سيأتي في فضائل الصيام إن شاء الله، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((كل عمل ابن آد له يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: [إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به]).^{٣٥}

ومن الأدلة على تميّز الأعمال الصالحة في رمضان وعظم أجرها أكثر مما لو أُديت في غيرها من الأزمان؛ أن العمرة في رمضان تعدل حجة فقد قال

^{٣٤} المستدرک علی الصحیحین ٧٢٥٦ (٤/ ١٧٠).

^{٣٥} صحیح مسلم ١١٥١ (٢/ ٨٠٧).

النبى صلى الله عليه وسلم: ((عمرة في رمضان تعدل حجة)) أو قال:
((حجة معي)).^{٣٦}، وهذا الفضل لا يكون إلا في رمضان لشرفه.

الخصلة السابعة: شهر العتق من النار.

وهذا هو الفوز الحقيقي لمن وفقه الله تعالى وتقبل منه، قال تعالى {فَمَنْ
زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل
عمران: ١٨٥].

ومن فضائل هذا الشهر الكريم؛ كثرة العتقاء فيه من النار بفضل الله
تعالى ورحمته، جاء في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم،
وفيه: ((..ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة)).^{٣٧} يعني من ليالي
رمضان.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((لله عز وجل عند كل فطر عتقاء)).^{٣٨}

^{٣٦} البخاري (١٨٦٣) ومسلم (١٢٥٦).

^{٣٧} أخرجه الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢) وابن خزيمة (١٨٨٣) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب
(٥٨٥/١).

^{٣٨} رواه أحمد (٢٥٦/٥) قال الألباني في صحيح الترغيب (١٠٠١) حسن صحيح.

الحلقة (٦)

[فتح أبواب الجنة في رمضان]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

لا يزال الحديث متواصلاً في تعداد فضائل هذا الشهر المبارك، رزقنا الله وإياكم حسن استثماره، والتعرض لنفحات الله تعالى، ومن هذه الفضائل: **الخصلة الثامنة: فيه تفتح أبواب الجنة.**

وذلك لكثرة الأعمال الصالحة من المؤمنين، وترغيباً لهم في ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وسلسلت الشياطين).^{٣٩}

وفي رواية: ((إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صُفِّدَت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر)).^{٤٠}

^{٣٩} البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (١٠٧٩).

^{٤٠} رواه الترمذي (٧٨٢) والنسائي (٢١٠٧) وابن ماجه (١٦٤٢) وصححه ابن حبان (٣٤٣٥) والحاكم (١٥٣٢).

وفتح أبواب الجنة في رمضان؛ إعلام بمنزلة هذا الشهر العظيم وقدره عند رب العالمين، وقد ذكر الله تعالى أبواب الجنة في كتابه العزيز فقال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: ٧٣]. وقال تعالى: {جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ هُمْ الْأَبْوَابُ} [ص: ٥٠].

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن للجنة ثمانية أبواب، فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)).^{٤١} فهذا يدل على أن للجنة أبواباً وأنها ثمانية وأن الله تبارك وتعالى يأذن بفتحها متى شاء لمن شاء.

وجاءت تسمية أربعة أبواب منها، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان

^{٤١} صحيح مسلم ٢٣٤ (١/٢٠٩).

من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة)) فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، قال: ((نعم وأرجو أن تكون منهم)).^{٤٢}

وأبواب الجنة عظيمة واسعة جداً، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير - أو كما بين مكة وبصرى)).^{٤٣} وفي مسلم: ((ولياتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام)).^{٤٤}

وهجر تقع أقصى شرق جزيرة العرب على الخليج (قطر والبحرين) وبصرى بلدة من بلاد الشام جنوبي درعا السورية اليوم، والمسافة بينها وبين مكة اليوم (١٢٧٣) كلم تقريبا.

وهذه الأبواب منها باب خاص بالصائمين، لا يدخل منه غيرهم، كما في صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون)".^{٤٥}

^{٤٢} صحيح البخاري ١٨٩٧ (٣/٢٥)، صحيح مسلم ١٠٢٧ (٢/٧١١).

^{٤٣} صحيح البخاري ٤٧١٢ (٦/٨٥)، صحيح مسلم ١٩٤ (١/١٨٥).

^{٤٤} صحيح مسلم ٢٩٦٧ (٤/٢٢٧٨).

^{٤٥} صحيح البخاري ٣٢٥٧ (٤/١٢٠).

ومنها؛ باب خاص بالذين لا حساب عليهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)).^{٤٦}

وأول من تفتح له الجنة هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)).^{٤٧}

وهذه النصوص وغيرها دالة على أن الجنة ذات أبواب لا تفتح إلا لمن شاء الله تعالى كرامته، ولا تفتح إلا في أزمنة شريفة، وللشرفاء الذين عملوا أعمالاً جليلة تؤهلهم لفتح الأبواب لهم. وأنها ليست كالخان المفتوح يدخله من هبّ وذبّ، بل إن سلعة الله غالية وعالية لا ينالها إلا المشمرون الموفقون. قيل لوهب بن منبه: "أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك".^{٤٨}

^{٤٦} صحيح البخاري ٤٧١٢ (٦/ ٨٥)، صحيح مسلم ١٩٤ (١/ ١٨٥).

^{٤٧} صحيح مسلم ١٩٧ (١/ ١٨٨).

^{٤٨} صحيح البخاري-تعليقاً (٢/ ٧١).

فاللهم افتح لنا وللمسلمين أبواب جنتك وأبواب رحمتك بمنك
وفضلك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار
وما قرّب إليها من قول وعمل.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وسائر أعمالنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا
طرفة عين.

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٧)

[وصف الجنة، جعلنا الله من أهلها]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

تقدم في الحلقة الماضية أن من فضائل شهر رمضان المبارك أنه تفتح فيه أبواب الجنة نسأل الله الكريم من فضله.

وهذا شوقنا إلى أن نلقي الضوء على شيء مما خلف تلك الأبواب من نعيم الجنة، نسأل الله الكريم من فضله.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز، كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا من أوصاف الجنة وأهلها، وما أعدّ الله فيها من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، والذي يجعل النفس تشتاق وتشرّب الأعناق إلى ذلك النعيم، وتستعذب المشاق، وتجتهد في اتخاذ الوسائل المعينة، الموصلة إلى دار المقامة.

وهو نعيم يفوق الوصف، ويقصر دونه الخيال، ليس لنعيمها نظير في الدنيا، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((قال تعالى: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))

قال أبو هريرة: " اقرءوا إن شئتم: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: ١٧]. ٤٩.

قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ} [الدخان: ٥١-٥٥].

وقال تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٦٩-٧١].

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: ٤٥-٤٨].

والآيات في وصف الجنة ونعيمها وسرورها وأنسها وحبورها كثيرة جدا، جعلنا الله ووالدينا والمشاهدين وجميع المسلمين من أهلها. أما الأحاديث فنقتطف منها نماذج يسيرة تعطينا شيئا من تصور نعيم الجنة، وكرامة أهلها.

في البخاري عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: ((إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في

٤٩ صحيح البخاري ٤٧٧٩ (٦/١١٦)، صحيح مسلم ٢٨٢٤ (٤/٢١٧٥).

الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم)) قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: ((بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)).^{٥٠}

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أسامة بن زيد الذي رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه، أنه قال: ((ألا مشمّر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلأأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبدا، في حبرة ونضرة، في دار عالية سليمة بهية)) قالوا: نحن المشمّرون لها، يا رسول الله قال: ((قولوا إن شاء الله)).^{٥١}

أما عن أهلها ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء)).^{٥٢}

^{٥٠} صحيح البخاري ٣٢٥٦ (٤/ ١١٩).

^{٥١} سنن ابن ماجه ٤٣٣٢ (٢/ ١٤٤٨) صحيح ابن حبان ٧٣٨١ (١٦/ ٣٨٩). وضعفه بعضهم.

^{٥٢} صحيح مسلم ٢٨٣٤ (٤/ ٢١٧٩).

وله عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه بعد دخول أهل الجنة الجنة، قال:
(ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تموتوا فلا
تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا
تبأسوا أبدا " فذلك قوله عز وجل: {ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما
کنتم تعملون} [الأعراف: ٤٣]).^{٥٣}

أما آخر الناس دخولا للجنة فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لأعلم آخر أهل الجنة خروجا من
النار، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، رجل يخرج من النار حبوا، فيقول
الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيقول: يا
رب، قد وجدتها ملأى، فيقول له: اذهب فارجع فادخل الجنة، فيأتيها،
فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع إليه، فيقول: يا رب، قد وجدتها ملأى،
فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثال
الدنيا، فيقول: أتسخر بي، أو تضحك بي وأنت الملك؟ - قال: فلقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه-)) قال
إبراهيم: وكان يقال: "إن ذلك الرجل أدنى أهل الجنة منزلة".^{٥٤}

^{٥٣} صحيح مسلم ٢٨٣٧ (٤/٢١٨٢).

^{٥٤} صحيح ابن حبان ٧٤٧٥ (١٦/٥١٨).

أمّا أعلى نعيم أهل الجنة فكما في صحيح مسلم من حديث صهيب رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل)).^{٥٥} وله من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: ((أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً)).^{٥٦} وهذا هو المقصود بالزيادة في قوله تعالى: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} وهو معنى قوله تعالى: {لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد}، وقوله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}.

فاللهم ارزقنا الخلد في جناتك، وأحلّ علينا من رضوانك، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وسائر أعمالنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

^{٥٥} صحيح مسلم ١٨١ (١/١٦٣).

^{٥٦} صحيح مسلم ٢٨٢٩ (٤/٢١٧٦).

الحلقة (٨)

[تغلق فيه أبواب النيران]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لا يزال الحديث في تعداد فضائل هذا الشهر المبارك، رزقنا الله وإياكم حسن استشاره، والتعرض لنفحات الله تعالى فيه، ومن هذه الفضائل:

الخصلة التاسعة: فيه تغلق أبواب النيران.

وذلك رحمة من الله تعالى بالعالمين، ولقلة اقترافهم المعاصي في هذا الشهر الكريم، وانصراف الهمم من المعاصي إلى المسابقة في فعل الخيرات وترك المنكرات، والتنافس على الطاعات.

وتقدمت الإشارة إلى أدلة هذه الخاصية والفضيلة فيما تقدم، ومنها:

ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال:

قال صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة،

وغلقت أبواب النار، وسلسلت الشياطين).^{٥٧}

وفي رواية: ((إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صُفِّدَت

الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب،

^{٥٧} تقدم تخريجه

وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير
أقبل، ويا باغي الشر أقصر)).^{٥٨}

والنار - أعاذنا الله وإياكم ووالدينا منها - لها سبعة أبواب، قال
تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ
مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} [الحجر: ٤٣-٤٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((الجنة لها ثمانية أبواب، والنار لها
سبعة أبواب)).^{٥٩}

تُفتح أمامهم حين يرد أهل النار النار، قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ
لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى
الْكَافِرِينَ} [الزمر: ٧١]. أي بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها
سريعا لتعجل لهم العقوبة.^{٦٠}

وقد حذرنا الله تعالى في كتابه العزيز من النار، وأخبرنا عن عذابها
وفصل القرآن في أسائها وعذابها وطعام أهلها وشرابهم ووصف

^{٥٨} تقدم تحريجه.

^{٥٩} أخرجه الإمام أحمد (١٧٦٥٧) وابن حبان (٤٦٦٣) والطبراني في الكبير (١٢٥/١١) وذكره الألباني في
الصححة (١٨١٢).

^{٦٠} تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/١١٨).

حالمهم، وذلك تحذيرا من سلوك المسالك المؤدية إليها، والعياذ بالله. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: ٦]. وقال تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: ١٩-٢٢].

والآيات في وصف النار وعذاب أهلها كثيرة جدا تحذيرا للمؤمنين وإنذاراً للكافرين.

أما الأحاديث فكثيرة جدا كذلك، نشير إلى شيء منها، ونجتهد في هذا الشهر المبارك باتخاذ الوسائل المنجية منها، والبعد عن الأسباب المؤدية إليها، فهي حق لا مرية فيه، -أعاذنا الله منها-.

ففي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)).^{٦١}

^{٦١} صحيح مسلم ٢٨٤٢ (٤/ ٢١٨٤).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا، من حر جهنم)) قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها»^{٦٢}.

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط))^{٦٣}.

فهذا يعني أن أهل النار ينسون كل نعيم مرّ بهم في الدنيا، وأهل الجنة ينسون كل بؤس مرّ بهم في الدنيا.

وأما أهون أهل النار عذابا يوم القيامة فهو كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل، توضع في أخص قدميه جمرة، يغلي منها دماغه))^{٦٤}.

^{٦٢} صحيح البخاري ٣٢٦٥ (٤ / ١٢١)؛ صحيح مسلم ٢٨٤٣ (٤ / ٢١٨٤).

^{٦٣} صحيح مسلم ٢٨٠٧ (٤ / ٢١٦٢).

^{٦٤} صحيح البخاري ٦٥٦١ (٨ / ١١٥).

فعلى العاقل الحريص على سلامته ومصالحته أن يتقي الله ربّه وأن
يجتنب كل سبيل يؤدي إلى عذاب الله، وأن يجتهد في كل عمل يؤدي
إلى النجاة من عذاب الله: { فَمَنْ زُحِزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ
فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥].
{ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا } [الفرقان: ٦٥].

اللَّهُمَّ أعذنا من النار وما قرّب إليها من قول وعمل، ونسألك
اللَّهُمَّ الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل. اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين.
اللَّهُمَّ تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وسائر أعمالنا.
اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٩)

فيه تسلسل الشياطين وتصفد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لا يزال الحديث في تعداد فضائل هذا الشهر المبارك، رزقنا الله وإياكم حسن استشاره، والتعرض لنفحات الله تعالى، ومن هذه الفضائل:
الخصلة العاشرة: أنه تسلسل فيه الشياطين وتصفد وتغلّ.

كما تقدم في الأحاديث المذكورة أعلاه، وهذا من فضل الله تعالى على عباده ومعونته لهم على الطاعات بأن حبس عنهم عدوهم فلا يصلون إلى ما يريدون من الإضلال عن الحق والتشيط عن الخير، ولذلك يظهر عند الصالحين في هذا الشهر الكريم من الرغبة في الخير والحرص عليه والعزوف عن الشر والبعد عنه أكثر من غيره.

فمن فضائل هذا الشهر المبارك أن الله تبارك وتعالى قد خصّه بأن تصفد وتغلّ وتسلسل فيه الشياطين ومردة الجن الذين يعيقون المؤمنين عن القيام بما أوجبه الله تعالى عليهم في هذا الشهر الكريم وحتى لا يشغلوهم عن استشار أوقات هذا الشهر المبارك في الطاعات والقربات.

ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وسلسلت الشياطين)).^{٦٥} وعند مسلم: ((وصفدت الشياطين)). وفي رواية: ((إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صُفِّدَت الشياطين ومردة الجن)).^{٦٦} وعند النسائي: ((وتغلّ فيه مردة الشياطين)).^{٦٧} ومعنى (صُفِّدَت) أي: شدّت بالأصفاد، وهي الأغلال كما في رواية: (غلّت)، وهو بمعنى سُلسلت الشياطين أي: شدّت بالسلاسل. والمردة: هم المتجرّدون للشر - أعاذنا الله تعالى منهم -.

وقد اختلف العلماء في معنى تصفيد الشياطين في رمضان على أقوال: - فقول: إن المراد أن الشياطين لا يخلصون إلى افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره؛ لانشغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات، وبقراءة القرآن والذكر..

- وقال القاضي عياض: يحتمل أنه على ظاهره، وحقيقته، وأن ذلك لمنع الشياطين من أذى المؤمنين. فالظاهر أن تصفيدهم عن إغواء الناس، بدليل كثرة الخير والإنابة إلى الله تعالى في هذا الشهر المبارك.

^{٦٥} تقدم تخريجه.

^{٦٦} تقدم تخريجه.

^{٦٧} سنن النسائي (٢١٠٩).

- وقيل: إن المقصود هو تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس؛ فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، فهي تقلّ عند الصائمين الصوم الذي حوِّظ على شروطه وروعت آدابه.^{٦٨}
وقيل غير ذلك.

قال الإمام ابن خزيمة في صحيحه: "باب ذكر البيان أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بقوله: «وصفدت الشياطين» مردة الجن منهم، لا جميع الشياطين".^{٦٩} وهذا إنما يعني الشياطين المنفصلة، أما القرين الملازم فلا يصفد بحال، أعادنا الله منه.

وهذا الحديث وما فيه من الأمور الغيبية التي موقفنا منها التسليم والتصديق، وألا نتكلم إلا بما دلّت عليه النصوص، فإن هذا أسلم لدين المرء وأحسن عاقبة، ولهذا لما قال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه: "إن الإنسان يصرع في رمضان؟ قال الإمام أحمد: هكذا الحديث ولا نتكلم في هذا".

ثم إن هناك دواعي كثيرة للشر غير الشياطين ومنها النفس الأمارة بالسوء.

^{٦٨} ينظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٣/٤).

^{٦٩} صحيح ابن خزيمة (٣/١٨٨).

أما شياطين الإنس فهؤلاء يكثر نشاطهم وإغواؤهم في هذا الشهر عن طريق وسائلهم التي لا حصر لها من مسلسلات وقنوات ومقاطع وأفلام وغير ذلك.

وأدنى درجات إغوائهم هو إشغال أوقات المسلمين بغير ما ينفع، وإلهائهم عن عبادة ربهم.

ومن المعلوم أن الشياطين مسلطون على الإنس {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: ٦] وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٢].

فالواجب على المسلم أن يتقي شرهم بالاستعاذة منهم والحذر من طاعتهم، والجد في طاعة الله ورسوله، والبعد عما نهى الله عنه ورسوله، وليستثمر هذا الشهر الكريم الذي تكسر فيه شوكتهم للتحصن بالطاعات والاجتهاد فيها، وإذا قوي الإيمان في القلب فإن {كيد الشيطان كان ضعيفا} قال تعالى: { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ٩٩-١٠٠].

فاللهم إنا نعوذ بك من همزات الشياطين، ونعوذ بك أن يحضرونا.

اللَّهُمَّ أعذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن شياطين الإنس
والجن.

اللَّهُمَّ وفقنا لصيام هذا الشهر وقيامه إيماناً واحتساباً، وأعنا على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين الأحياء منهم والميتين.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (١٠)

[من فضائل الصيام وثمراته]

الحمد لله شرع لنا ديناً قوياً وهدانا صراطاً مستقيماً، أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل إليه أفضل كتبه، وشرع لنا أفضل شرائع دينه. وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]، وهذه الآية الكريمة قد أشارت إلى شيء من فضائل الصيام وثمراته، كما دلّت عليها النصوص الأخرى، وفي ابتداء الآية بالنداء تنبيه للمخاطب لأمر ذي شأن.

ثم تعليق هذا النداء بوصف الإيمان يدل على ثلاث فوائد:

الأولى: الإغراء بالانتساب إلى هذا الشرف وهو الإيمان.

الثانية: أن هذا الصيام والقيام به من مقتضى الإيمان؛ فالصيام من الإيمان، لا يقوم به على وجهه الكامل إلا المؤمنون.

الثالثة: أن تركه نقص في الإيمان.

ولعلنا نشير إلى بعض هذه الفضائل والثمرات، سائلين المولى عز وجل أن يتقبل منا ومنكم وسائر المسلمين.

الفضيلة الأولى: التوفيق والهداية لأداء هذه الفريضة العظيمة.

في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ..} وقوله تعالى بعدها: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: ١٨٥] دليل على فرض وجوب صيام هذا الشهر المبارك، الذي هو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) متفق عليه.^{٧٠} ولمسلم: ((وصوم رمضان وحج البيت..)).^{٧١}

وإعانة الله تعالى عبده على أداء الفريضة التي أوجبها عليه من أكبر النعم وأجل الفضائل، حيث خصّه الله تعالى لأدائها بالهداية، وأعانه على ذلك ليشبته عليها، بعد أن حرمها كثير من الناس، ولذا ختم الله تعالى آيات الصيام بقوله تعالى: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥] وفي هذا إشارة إلى أن الهداية لهذه الفريضة، والإعانة على القيام بها وأدائها كما أمر الله تعالى من النعم التي تستوجب الشكر.

والشكر إنما يكون بالقلب واللسان والجوارح، كما قال الله تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣].

^{٧٠} صحيح البخاري ٨ (١ / ١١)، صحيح مسلم ١٦ (١ / ٤٥).

^{٧١} صحيح مسلم (١ / ٤٥).

وشكر النعمة بالجوارح يكون بأداء ما شرع الله تعالى فيها على الوجه الأكمل.

أما الشكر العام فهو أن تقوم بطاعة المنعم سبحانه وتعالى. وأداء الفرائض والواجبات هو أحب ما تقرب به العبد إلى ربه تبارك وتعالى، كما في حديث الولي المشهور: ((وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)).^{٧٢} فإذا وفق الله تعالى عبده لأداء ما افترضه عليه، وأردف ذلك بالتقرب إليه تعالى بالنوافل؛ أثمر ذلك من الفضائل والنعم:

١ - محبة الله تعالى له، وهذه أسمى المطالب وأعلى المراتب، وأعظم المكاسب.

٢ - حفظ الله تعالى لعبده وتوفيقه بألا يعمل بجوارحه إلا شيئاً يرضي الله تعالى، فلا يسمع ولا يرى ولا يبطن ولا يمشي إلا في محاب الله تعالى ومرضاته.

فتكون حياته كلها لله، وباللّه، وفي الله، كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

^{٧٢} صحيح البخاري ٦٥٠٢ (٨/١٠٥).

٣- أن يكون من مجابي الدعوة، فلا يُردّ دعاؤه؛ لوعد الله تعالى الصادقين بذلك في قوله: (ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

وعليه؛ فإن من فضائل الصيام أن يوفّق العبد للقيام بأداء ما افترضه الله عليه من صيام هذا الشهر المبارك، وهذه نعمة وفضيلة تستوجب الشكر وحمد الله تعالى عليها.

الفضيلة الثانية: أن الله تعالى كتب الصيام على جميع الأمم، وفرضه عليكم كما دلت عليه الآية {كما كتب على الذين من قبلكم}.

وهذا يدل على أن الصيام عبادة عظيمة لا غنى للخلق عن التعبد بها لله تعالى، فهي من العبادات المشتركة بين الشرائع، وإن كانت قد تختلف في هيئاتها وأزمانها، فالتشبيه إنما هو في أصل الصيام لا في عينه وقدره وزمنه، قال تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا} [المائدة: ٨٤].

وفي هذا تنشيط لهذه الأمة بأنه ينبغي أن تنافس غيرها من الأمم في تكميل الطاعات، والمسارة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختصّتم بها دون سائر الأمم.^{٧٣}

وفيه أيضا؛ أن الصيام من أعظم الفضائل وأسمى وأنفع العبادات في زيادة الإيثار وقوة القلب وتزكية النفس وتطهيرها وسلامة الجسد وصلاحه.

^{٧٣} تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦).

فالحمد لله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، اللهم اجعلنا شاكرين
لنعمك مُثنين بها عليك، وأتمّها علينا وعلى المسلمين، اللهم وفقنا لصيام
شهرنا وقيامه إيماناً واحتساباً، وأعنا على ذلك، وبارك لنا فيه وتقبله منا إنك
أنت السميع العليم، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

الحلقة ١١

[الصوم من أكبر أسباب اكتساب التقوى]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يزال الحديث متصلاً بذكر بعض فضائل وثمرات الصيام، سائلين
المولى غز وجل أن يرزقنا الاستقامة على دينه، والثبات على أمره، وأداء ما
أوجبه الله علينا على الوجه الذي يرضيه عنا، ومن هذه الفضائل:

الفضيلة الثالثة: أنه من أكبر أسباب اكتساب التقوى.

وهذه الفضيلة هي التي ختم الله تعالى بها آية فرض الصيام،
فقال: {لعلكم تتقون}.

وفي ذلك إشارة إلى أن الهدف الأعظم والغاية القصوى من الصيام هو
تحقيق التقوى.

والتقوى هي وصية الله تبارك وتعالى للأولين والآخرين { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: ١٣١].

وقد أمر الله تعالى بها نبيه المعصوم -بأبي هو وأمي ونفسي- صلى الله
عليه وسلم فقال سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ } [الأحزاب: ١]،
وهو أفضل المتقين الأخيار عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فمن حقق التقوى فقد حقق الفوز والنجاح والفلاح! لأنها تكون المحرك الداخلي الدافع للإنسان لفعل كل خير وطاعة، الرادعة عن كل شر ومعصية، ابتغاء مرضاة الله تعالى والدار الآخرة، الواقية من عذاب الله وأليم عقابه.

وقد جاءت التقوى هنا مطلقة (تتقون) لتشمل جميع أنواع التقوى، ويجمعها: تقوى الله سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} [البقرة: ٢٧٨].

وقد تأتي مقيدةً بعذاب الله، وذلك على وجهين:

• اتقاء مكانه، قال الله تعالى: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [البقرة: ٢٤].

• اتقاء زمانه، قال تعالى: { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [البقرة: ٢٨١].

• وقد يجتمع الوجهان كما في قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [يس: ٤٥] فجمع اتقاء زمان ومكان عذاب الله تعالى . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه { ما بين أيديكم } يعني الدنيا.

ولذلك جاءت تفسيرات علماء السلف تشعّ نورا وإيمانا وتشمل جميع المعاني العظيمة في عبارات وجيزة، ولعلنا نستعرض شيئا من تفسيراتهم رحمهم الله تعالى:

- روي عن علي الخليفة الراشد رضي الله تعالى عنه أنه قال: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل".^{٧٤}
- وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: "التقوى أن يطاع الله فلا يُعصى وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر".^{٧٥}

- وروي عن أبي بن كعب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأله عن التقوى فقال أبي: "يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقاً فيه شوك؟ فقال نعم. قال فما فعلت؟ قال عمر رضي الله عنه: أشمّر عن ساقبي وأنظر إلى مواضع قدمي وأقدم قدماً وأؤخّر أخرى مخافة أن تصيبني شوكة. فقال كعب: تلك هي التقوى".

- وقال أبو الدرداء رضي الله عنه مبيّناً حقيقة التقوى وثمراتها: "هي أن يتقي العبد ربه حتى يتقيه في مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، ليكون حجاباً بينه وبين الحرام..".

^{٧٤} كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (١ / ٤٠٢).

^{٧٥} المعجم الكبير للطبراني ٨٥٠٢ (٩ / ٩٢).

- وقال التابعي الجليل طلق بن حبيب رحمه الله تعالى: "التقوى: أن تعمل الطاعة لله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور الله تخاف عقاب الله".^{٧٦}

- أما عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقد نبه إلى حقيقة التقوى وخاصة في هذا الشهر المبارك فقال رحمه الله: "ليس تقوى الله بصيام النهار وقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقول الله؛ ترك ما حرم الله، وأداء ما فرض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير".^{٧٧}

وعليه؛ فإن خلاصة ما تقدم عن حقيقة التقوى أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وسخطه وقاية، وذلك بالعمل بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خوفا من الله ورجاء للثواب، وتعظيما لحرماته عن محبة صادقة وإخلاص لله تعالى.

والتقوى ثلاث مراتب:

إحداها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.

الثانية: حميتها عن المكروهات.

الثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني.

فالأولى تعطي القلب حياته.

^{٧٦} الزهد لهناد بن السري (١/ ٢٩٧).

^{٧٧} الزهد الكبير للبيهقي (ص: ٣٥١).

والثانية تفيده صحته وقوته.

والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته.

ويكفي فوزا لمن حقق التقوى أن ينال محبة الله عز وجل، فقد ذكر جل وعلا في محكم تنزيله أنه {يجب المتقين} في آية من سورة آل عمران، وآيتين من سورة التوبة.

والآيات كلها متعلقة بالوفاء بالعهد وربط محبة الله تعالى بتقواه عز وجل، ورعاية العهود التي بين العبد وربه وبينه وبين الخلق، ولا شك أن الصيام عهد وميثاق بين العبد وربه.

كما نعلم أن الجنة إنما أعدت للمتقين قال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: ١٣٣] وقد أكثر الله تعالى من ذكر صفات المتقين في كتابه العزيز، ليتصف بها المسلم، ويتحلى بها، ليقطف ثمارها ويفوز بجوائرها.

إن الصيام ميدان التسابق إلى مراتب التقوى {لعلكم تتقون} والمتقون يغتنمون أيامه ولياليه للاستزادة منها إيمانا بالله واحتسابا في عبادته ومحاسبة للنفس، وتحسبا في تورطها في مسببات العقاب والعذاب من آفات العجب والرياء التي تجبط أعمال عبد في رمضان، أو غيره وهو يشعر أو لا يشعر. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم اجعلنا من عبادك المتقين ومن أوليائك المفلحين.

اللّهُمَّ تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وسائر أعمالنا، واجعلها خالصة
لوجهك الكريم، موافقة لسنة نبيك الكريم، اللّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، اللّهُمَّ صل وسلم وبارك على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (١٢)

[من فضائل مضاعفة الحسنات بغير حد ولا عد]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

فلا يزال الحديث موصولاً بذكر فضائل الصوم، ومن هذه الفضائل:

الفضيلة الرابعة:

مضاعفة الحسنات بغير حد ولا عد.

فمن الفضائل التي خص الله تعالى بها الصيام؛ ما ثبت في الحديث القدسي في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قال تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجز به)).^{٧٨}

وفي هذا الحديث من فضائل الصيام ما ليس في غيره، ومنها:

١- أن الله تعالى نسبه إلى نفسه (فإنه لي) فهذا الحديث يدل على أن الصيام من أجل العبادات، وأفضل القربات، وأحبها إلى الله تعالى، ولذلك فإن أجره عظيم، وفضله كبير، وكرامة الله تعالى للصائمين لا تنقطع، فإنهم حرموا أنفسهم الطعام والشراب والشهوة، فكافأهم الله من واسع عطائه

^{٧٨} تقدم تخريجه.

وفضّلهم على غيرهم بمزيد العطاء الذي تولّاه بنفسه، من غير تحديد لعدد ولا تعداد، واختصه دون سائر أعمال العباد، وهذا فضل زائد وشرف خاص لهذه العبادة مع أن أعمال البر كلّها لله تعالى، وهو الذي يجزي عليها فالتخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يفهم منه إلا التعظيم والتشريف.^{٧٩}

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: "كفى بقوله (الصوم لي) فضلاً للصيام على سائر العبادات"^{٨٠}، يعني من أفضل العبادات وإلا فقد قال صلى الله عليه وسلم: (واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة)، فالصلاة أفضل من أكثر الوجوه، وقد يفضّل الصيام من بعض الوجوه، وروى النسائي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عليك بالصوم فإنه لا مثل له)).^{٨١}

٢- أنه تعالى نسب الجزاء عليه إلى نفسه العليّة (وأنا أجزي به) فهو يجزي عليه جزاءً خاصاً من عنده تعالى، والعطيّة - كما يقال - بقدر معطيها، والله تعالى هو أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وهذا يدلّ على عظيم أجر الصيام، وإنما اختصّه به من بين سائر الأعمال لشرفه عنده، ومحبته له، والكريم إذا قال: أنا أتولى الإعطاء بنفسه كان في ذلك إشارة إلى تعظيم

^{٧٩} فتح الباري لابن حجر (٤ / ١٠٨) من قول الزين ابن المنير.

^{٨٠} فتح الباري لابن حجر (٤ / ١٠٨).

^{٨١} النسائي (٢٢٢٠) وصححه الألباني.

ذلك العطاء وتفخيمه، كما قال تعالى: { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } [الشورى: ٤٠].

٣- أن هذا الاختصاص بالجزاء جاء مصرحاً به في الحديث الآخر حتى جعل أجر صائمه متجاوزا العشرة أمثال والسبعمئة ضعف الموعود بها في سائر الأعمال الصالحة المقبولة.

أما أجر الصيام فإنه يزيد على ذلك بما لا يحد ولا يعدّ فقال صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن ربه تعالى: (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به).^{٨٢}
فكل الأعمال يمكن أن تضاعف إلى سبعمئة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه عند حدّ، ولا يتوقف عند عدد.

٤- ويؤكد ذلك أن في الصيام تتجلى فيه عبودية الصبر، بل أنواع الصبر الثلاثة فإنها تتجلى فيه؛ الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، ولهذا قال الله تعالى ((يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)).

والثالث الصبر على أقدار الله المؤلمة، أو ما يصيب الصائم من جهد وتعب وجوع وعطش، وقد وعد الله الصابرين أن يُوفّوا أجورهم، ولذلك قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: "ليس يوزن لهم ويكال إنما يغرف لهم غرماً".^{٨٣}

^{٨٢} تقدم تخريجه.

^{٨٣} تفسير ابن كثير (٧/ ١٩).

ومن صور الصبر في الصيام الأمر بضبط النفس عند الانفعال والغضب عند المخاصمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم))^{٨٤} يعني فالصوم يمنعني من الرد عليك ومجازاتك بما تستحق.

٤- كما أن في الصيام تتجلى أعلى مراتب الدين وهي مرتبة الإحسان التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).^{٨٥}

ففي الصوم تظهر عبودية الإخلاص والمراقبة لله تعالى؛ لأن العبد يكون في المكان الخالي لا يطلع عليه إلا الله ومع ذلك لا يقدم على شيء من المفطرات ليقينه بمراقبة الله تعالى له، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (يدع شهوته وطاعمه من أجلي).

٥- ومما يدل على تعظيم شعيرة الصيام وتشريفه والإشعار بأهميته أنه جاء في حديث قدسي - فالنبي صلى الله عليه وسلم نسب هذا الفضل إلى أنه من قول الله تعالى؛ فقال: ((قال الله: كل عمل ابن آدم..)).

٦- كما أنه جاء بصيغة الإخبار لا الإنشاء، وكأنه يشير بذلك إلى أنه إذا كان الصوم لي فأحسنوا صومكم، لأنكم تقدموه لي لا لغيري، وهذا يستلزم

^{٨٤} صحيح مسلم ١١٥١ (٢/٨٠٧).

^{٨٥} صحيح البخاري ٥٠ (١/١٩).

الإخلاص فيه، فانظروا إلى شرف من تقدّمون له صومكم ومعرفة قدره
وعلوّه تعالى.

٧- وقد ذكر العلماء جملة من الأقوال في تلمّس سرّ إضافة الصيام إلى الله
تعالى ومنها:

أ- أن الصيام لا يدخله الرياء غالباً، بخلاف بقيّة الأعمال فإنها لا تخلو
غالباً من شائبة ملاحظة الخلق إلا من رحم الله، فإن الصوم سرّ بين العبد
وربه، ولهذا كان ثوابه بغير تقدير، فالصيام من الأعمال الباطنة السريّة
الخفية بين العبد وربّه، لا يطلع عليه إلا مولاه تبارك وتعالى، بخلاف بقيّة
الأعمال كالصلاة والصدقة والحج فهي ظاهرة مشاهدة، ولذلك ناسب أن
يكون جزاؤه أيضاً بينه وبين ربه، لا يعلمه إلا الله فهو أعظم العبادات
إخلاصاً، والله أعلم.

ب- وقيل لأنه العبادة التي لم يعرف أنها مما لم يتعبد بها لغير الله تعالى،
ولذا فلا يذكر أن مشركاً صام لغير الله تعالى.^{٨٦} وقيل غير ذلك.

٨- وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن جميع العبادات تُوفّى منها مظالم
العباد إلا الصيام فقد جعل الله تعالى الصيام له، وعمل ابن آدم الآخر غير
الصوم لابن آدم، فإذا كان عليه مظالم للعباد فإنه يؤخذ للعباد من حسناته
إلا الصيام فإنه لا يؤخذ منه شيء لأنه لله عز وجل وليس للإنسان، فيوفّر

^{٨٦} شرح النووي على مسلم (٨/ ٢٩).

أجره لصاحبه، ولا يؤخذ منه لمظالم الخلق شيء، بل يوفّيهم الله تعالى حقوقهم من عنده من غير أجر الصائم {ولا يظلم ربك أحداً} ويشهد لذلك ما في الصحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم، قال: ((لكل عمل كفارة، والصوم لي وأنا أجزي به)). قال سفيان بن عيينة رحمه الله: "هذا من أجود الأحاديث وأحكمها، إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم؛ فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة".^{٨٧}

علماً بأنه قد ذكر الصوم في الأعمال التي يقتصر منها كما في حديث أبي هريرة في مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)).^{٨٨}

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة، ولو جهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئاً.

^{٨٧} سنن البيهقي (٢٧٤/٤) وينظر فتح الباري وتعقيبه على ذلك ك: الصوم، باب فضل الصوم.

^{٨٨} مسلم (٢٥٨١).

اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل.
اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وسائر أعمالنا، واجعلنا ممن يؤتون
أجورهم بغير حساب.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (١٣)

[تكفير السيئات بالصوم]

الحمد لله {غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير} وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يزال الكلام موصولاً بالحديث عن فضائل الصوم، نسأل الله أن يتقبل منا صالح الأعمال، ومن هذه الفضائل:

الفضيلة الخامسة: تكفير السيئات ومغفرة الذنوب.

فمن فضائل الصيام أنه سبب لغفران الذنوب وتكفير السيئات. وقد قيل إنما سُمِّي شهر الصيام بـرمضان لأنه يرمض الذنوب؛ أي: يجرّحها بالأعمال الصالحة، مشتقٌّ من الإرماض وهو الإحراق.. فهي تسمية مناسبة لهذا الشهر المبارك الذي يتجلى الله تعالى فيه على عباده بمغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم ورفع درجاتهم.

-وقيل: لأنه أول ما سميت الشهور بأسمائها صادف أنه في وقت الحر والرمضاء، فسمي شهر رمضان، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "وهذا أقرب؛ لأن الظاهر أن هذه التسمية كانت قبل الإسلام".

وقد جاءت النصوص المؤكدة على أن الصيام من أكبر أسباب تكفير

الذنوب والسيئات، ومنها:

- قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥].

فجعل الصيام من جملة الأعمال الجليلة لمغفرة الذنوب، والأجر العظيم للصائمين والصائمات.

- قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).

ومعنى (إيماناً) أي إيماناً بالله تعالى وتصديقاً بوعدته عز وجل.

ومعنى (احتساباً) أي للأجر والثواب عند الله تعالى، لا لغرض دنيوي.

- ومن حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه: ((فتنة الرجل في أهله وماله

وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة، والأمر والنهي)).^{٨٩}

والمراد أن الفتنة هي في كل من أشغلته المذكورات، أو ما شابهها عن ذكر

الله، وعن القيام بحق الله أو قصر في الحقوق الواجبة عليه فيهنّ، وفي

غيرها من الحقوق.

^{٨٩} صحيح البخاري ٥٢٥ (١ / ١١١)، صحيح مسلم ٢٢١٨ (٤ / ٢٢١٨).

والمراد بالسيئات هنا أي الصغائر، أما الكبائر فلا بد لها من توبة كما قال تعالى: {إِنْ مَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء: ٣١]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر)).^{٩٠}

ومعنى (مكفّرات لما بينهن) أي تمحو السيئات التي تكون من هذه الآفات.

والصغائر أمرها خطير، فقد يجتمعن على المسلم فيهلكنه، قال صلى الله عليه وسلم محذّرا من التهاون بها: ((إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضبجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه)).^{٩١}

- وقال صلى الله عليه وسلم: ((يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله عز وجل طالبا)).^{٩٢}

ثم إن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر.

^{٩٠} صحيح مسلم ٢٣٣ (١/ ٢٠٩).

^{٩١} مسند أحمد ٢٢٨٠٩ (٣٧/ ٤٦٧).

^{٩٢} مسند أحمد ٢٤٤١٥ (٤٠/ ٤٧٨).

وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة ما يلحقها بالكبائر.

وهذا أمر مرجعه إلى القلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره.^{٩٣}

ويروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار).^{٩٤}

ويروى عن أحد السلف قال: (دخل رجل الجنة بمعصية، دخل رجل النار بحسنة، فقليل له: وكيف ذلك؟ قال: عمل رجل معصية فما زال خائفاً من عقاب الله من تلك الخطيئة فلقي الله فغفر له من خوفه منه تعالى، وعمل رجل حسنة فما زال معجباً بها ولقي الله بها فأدخله النار).^{٩٥}

والكبيرة هي: كل ذنب سمّاه الشارع كبيرة أو توعدّ عليه بوعيد خاص في الآخرة (كالغضب واللعن والنار وتحريم الجنة، ونفي إيمان، وليس منا. ونحوه) أو شرع فيه حدّ في الدنيا.

وهذه الأحاديث وما في معناها تحذير من التساهل في صغائر الذنوب، فإنها أسباب تؤدي إلى ارتكاب الكبائر، كما أن صغار الطاعات تجرّ إلى

^{٩٣} شرح الطحاوية (ص ٣٦٧).

^{٩٤} شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١١١٠).

^{٩٥} خطوات إلى السعادة، عبدالمحسن القاسم (ص: ١٨).

كبارها، فصغار المعاصي يجرّ بعضها بعضاً إلى كبارها، فإذا اجتمعت الصغائر ولم تكفر عنه أهلك صاحبها.

أما حقوق البشر فلا يشملها التكفير، وإنما يجري فيها القصاص يوم القيامة؛ لأنها مبنية على المشاحة بخلاف حقوق الله تعالى فإنها مبنية على المسامحة ولله الحمد والمنّة.

قال صلى الله عليه وسلم: ((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)).^{٩٦}

ولذا من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده أن جعل الصيام وغيره من الطاعات من الأسباب الماحية للصغائر من الذنوب.

فعلى المسلم الحريص على نجاته يوم القيامة أن يستكثر من الحسنات الماحية، ومن أهمها الصوم فرضاً ونفلاً. وأن يمحو كبائر الذنوب بالتوبة النصوح المقتضية للإقلاع عن الذنب فوراً، والندم على ما وقع منه، والعزم على ألا يعود إليه مرّة أخرى، وأن يتخلص من حقوق الخلق، وردّ المظالم إلى أهلها. وأن يكثر من الحسنات ف{إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك

^{٩٦} صحيح البخاري ٢٤٤٩ (٣/١٢٩).

ذكرى للذاكرين { الآية. وقال صلى الله عليه وسلم: ((وأَتبع السيئة الحسنة
تمحها)).^{٩٧}

وعليه باللَّهَج والاسْتِكْثَار من الاستغفار.

ومن فضل الله تعالى علينا أن أسباب المغفرة للصائمين كثيرة، وخاصة
في هذا الشهر المبارك، ومنها: أن لله تعالى عتقاء من النار وذلك في كل ليلة
كما تقدم بذلك الحديث.

ومنها: المكفّرات الثلاث في هذا الشهر الفضيل: (من صام رمضان إيماناً
واحْتِسَاباً) و(من قام رمضان إيماناً واحْتِسَاباً) و(من قام ليلة القدر إيماناً
واحْتِسَاباً). فكل واحدة من هذه المكفّرات كافية في تكفير السيئات فإن
أخطأت الأولى فلعلّ الثانية تكون هي المكفّرة، وإن أخطأت الثانية فيبقى
الأمل في الثالثة. فإذا أخطأته هذه الفرص فهو المحروم، ولم يوفّق أن يكون
من العتقاء من النار في كل ليلة، ولا في آخر ليلة من رمضان، لأن الله تعالى
عتقاء في هذه الليالي..

ولذا قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((رَغِمَ أَنْفُهُ، من أدرك رمضان
ولم يغفر له))^{٩٨} وفي رواية: ((فأبعده الله)) نسأل الله العافية.

^{٩٧} مسند أحمد ٢١٣٥٤ (٣٥ / ٢٨٤).

^{٩٨} تقدم تخريجه.

ومعلوم أن كل صائم لا يدرك حقيقة حاله من هذا الفضل العظيم هل ناله أم أن عنده من الموانع ما حرمه من ذلك.

وعليه فالواجب على الصائمين الاجتهاد فيما شرعه الله تبارك وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، ويتحرّروا أسباب مغفرة الذنوب ويتعرّضوا لنفحات الغفور الرحيم سبحانه وتعالى. وأن يكثرُوا من الاستغفار والتوبة.

كما أن عليهم أن يحسنوا الظن بالله تعالى، فإن الله لن يخيبهم، بل يجدونه سبحانه عند ظنهم فإنه سبحانه عند ظن عبده به، إذا أخذ العبد بأسباب النجاة والمغفرة فإنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً. فلنحسن العمل ونرجو من الله القبول.

اللهم اجعلنا ممن وفّقته وأعتته على صيام هذا الشهر وقيامه إيماناً واحتساباً فغفرت ذنوبه وسترت عيوبه وبلغته مأموله.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفرّ عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (١٤)

[الصيام جنّة]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

ثم أما بعد:

فلا يزال الحديث عن نعم الله تعالى علينا التي اختصّ بها هذا الشهر الكريم، ألا وهي أن الله تعالى جعل الصيام جنّة ووقاية وحماية وحصناً يتحصّن به المسلم من كل أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة.

فجاء في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((والصيام جنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يسخب^{٩٩}، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم)).^{١٠٠}

وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضاً، قال صلى الله عليه وسلم: ((والصوم جنّة، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، وخالوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)).^{١٠١}

^{٩٩} هكذا هو هنا بالسّين ويقال بالسّين والصاد. محمد فؤاد

^{١٠٠} تقدم تخرّجه.

^{١٠١} صحيح البخاري ٧٤٩٢ (٩/١٤٣).

وهذا الحديث من أعظم الأحاديث الدالة على فضيلة الصيام، وينبّه على أحد مقصدي الصيام العظيمين، وهما:

١- التقوى واجتماع القلب والهَمّ على الله تعالى، وتوفير قوى النفس على محابه وطاعته، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]. وتقدّم الكلام على التقوى وما يتعلق بها.

٢- الجُنّة، والوقاية، وهي حمية عظيمة للصائم من كل أسباب الهلاك وأدواء الروح والقلب والبدن.

والجُنّة بضم الجيم: الوقاية والستر. أصلها (ج. ن. ن) تدل على معنى الستر ومنه الجنين والجنّ. فالصوم جُنّة؛ يعني وقاية مثل الترس يقي صاحبه من ضرب النبال والسهام.

وقال تعالى: {اتَّخِذُوا أَيَّامَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [سورة المجادلة: ١٦]. {اتَّخِذُوا أَيَّامَهُمْ جُنَّةً} أي: ترساً ووقايةً، يتقون بها

من لوم الله ورسوله والمؤمنين. ١٠٢

وهذا الحديث العظيم يبيّن فضيلة من أهمّ فضائل شعيرة الصيام وهي الوقاية. والوقاية هنا جاءت مطلقة (الصيام جنة) فتشمل الوقاية من جميع أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة.

١٠٢ تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٤٧).

ولعلنا نشير في هذه العجالة إلى أهمّ ما يمكن أن يكون الصيام وقاية
للصائم من هذه المعاطب، ومن ذلك:

١- أعلاها وأجلّها: الوقاية من النار. وهذا ما ورد النصّ عليه في بعض
روايات الحديث:

أ- في رواية أبي هريرة: ((الصوم جنة من النار)).^{١٠٣}

ب- وفي رواية عثمان بن أبي العاص: ((الصوم جنة من النار كجنة
أحدكم من القتال)).^{١٠٤}

وفي رواية لأبي هريرة: ((والصوم جنة وحصن حصين من النار)).^{١٠٥}
فيتحصن المسلم بهذا الحصن الحصين والدرع الواقي من المعاصي
والآثام في الدنيا، والتي هي سبب دخول النار، كما في الصحيحين من
حديث أبي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم: ((من صام يوما في
سبيل الله، بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا)).^{١٠٦}
فدلّ هذا الحديث على أن الصيام من أعظم أسباب الوقاية من النار، وأنه
سبب لإبعاده عنها، أعادنا الله ووالدينا والمسلمين منها.

والوقاية من النار إنما تكون بسببين:

^{١٠٣} سنن الترمذي ٧٦٤.

^{١٠٤} النسائي ٢٢٣١ وأحمد ١٧٣٩ وابن خزيمة ٢١٢٥.

^{١٠٥} مسند أحمد ٩٢٢.

^{١٠٦} صحيح البخاري ٢٨٤٠ (٤/٢٦)، صحيح مسلم ١١٥٣ (٢/٨٠٨).

أ- بفعل الطاعة ومن أجلها الصوم، فهو وقاية، والوقاية من النار هي ثمرة عمل الطاعات ومنها الصوم.

ب- بترك المعاصي. والصيام من أكبر أسباب ترك المعاصي، وسدّ الذرائع المؤدية إليها كما سيأتي في الفقرة التالية:

٢- الوقاية من المعاصي، ومفسدات الصوم.

والصوم من أكبر أسباب الحماية من المعاصي والمخالفات ومنها مفسدات الصوم، وذلك من جهتين:

أ- كبح الشهوة. لأنه مع التوسّع في الأكل والشرب يكون النشاط فتزيد الشهوة، فقد يقع المحذور. ومعلوم أن النار مخفوفة بالشهوات كما صحّ بذلك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والصيام خير علاج لكبحها وضبط مسارها، وهذا شامل لكل الشهوات، ومنها الشهوة الجنسية، ولذا كان التوجيه النبوي لعلاج هذه الشهوة في قوله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)).^{١٠٧}

ب- بقوة الإيمان والتقوى الرادعة للنفس عن شهواتها، ومواطن العطب. والصيام من أكبر أسباب زيادة الإيمان والمراقبة لله تعالى وتحقيق التقوى العاصمة من الذنوب والآثام فيعين الصيام الصائم على كل محذور

^{١٠٧} صحيح البخاري ٥٠٦٥ (٣/٧).

سواء من مبطلات الصيام ومفسداته، أو كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٣- الوقاية من الشيطان ووسوسته وتزيينه المنكرات وتوهينه من عمل الطاعات. وقد تقدم أن في شهر الصيام -شهر رمضان- (تصفد الشياطين وتسلسل وتغلّ بالقيود والأغلال). وهذا كله يقلّل من نشاط الشياطين وإغوائهم للصائمين وعموم المسلمين، فالصيام سلاح فعّال قوي، ودرع حصين يتحصّن به المسلم من عدوّه الشيطان الرجيم.

ومعلوم أن (الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) كما ثبت في الصحيحين من حديث صنفية رضي الله تعالى عنها. وفي الصيام تضيق مجاري الدم بسبب الجوع والعطش فتضيق على الشيطان من البدن. كما يقول العلماء.^{١٠٨}

فنسأل الله العلي العظيم أن يعيذنا من الشيطان الرجيم، وأن يعيذنا من عذاب الجحيم.

٤- الوقاية من الأمراض الجسدية وأدواء البدن.

ومن فوائد الصيام والحكم الربانية فيه ما يترتب على الصيام من مصالح صحّية تحصل بتقليل الطعام والشراب وإراحة جهاز الهضم لمدة معينة،

^{١٠٨} ينظر: ابن عثيمين (/)

وفىما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((اغزوا تغنموا وصوموا
تصحوا ..)).^{١٠٩}

ويلخص لنا ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله: " وللصوم تأثير عجيب في
حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها
المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة
المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد
إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات".^{١١٠}

والطب الحديث يفصل ويفسر ما أجمله ابن القيم رحمه الله تعالى بالبراهين
العلمية والتجارب المخبرية، ومن غير المسلمين، وليس ببعيد عنا ما ينادي
به الأطباء بما يسمى بـ "الصيام المتقطع" للحماية والوقاية أو العلاج من
بعض الأمراض العضوية. وليس هذا مقام تفصيلها، فيتحدث عنها
المختصون أصحاب الشأن.

ومن الحكم المجمع عليها عند الأطباء، ما قاله الحارث بن كلدة طبيب
العرب: " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء".^{١١١}

^{١٠٩} أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣١٢) عن أبي هريرة قال المنذري في الترغيب والترهيب (١٠٦ / ٢) والهيثمي في
الزوائد (١٨٢/٣) : رجاله ثقات وقال الهيثمي في الزواجر : صحيح أو حسن (١٩٧/١). وذكره الألباني في الضعيفة
(٥١٨٨).

وروي من طرق أخرى ضعيفة.

^{١١٠} زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٨ / ٢).

^{١١١} التذكرة في الأحاديث المشتهرة = اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (ص: ١٤٥).

ونحن يكفينا قول الحق سبحانه وتعالى: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٤].

٥- الوقاية من الفحش والأخلاق الرذيلة، والتربية على تزكية النفس وتطهيرها.

وهذا هو موضوع حديث الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

اللَّهُمَّ قنا عذابك يوم تبعث عبادك، اللَّهُمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللَّهُمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، واكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمّن سواك.

اللَّهُمَّ أصلح أئمتنا وولاة أمورنا وولاة أمور المسلمين، واجعل اللهم ولايتنا فيمن يخافك ويتقيك ويتبع رضاك يا رب العالمين.

الحلقة (١٥)

[الصيام سبب لتزكية النفس والتربية على الأخلاق الفاضلة]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وبعثه ليطمئناح الأخلاق، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلا يزال الحديث متعلقاً بذكر فضائل وثمرات الصيام ومزاياه العظام.
الفضيلة السابعة: الصيام مدرسة لتزكية النفس والتربية على الأخلاق الفاضلة.

فالصيام من أعظم الأسباب المؤدية إلى تزكية النفس وغرس التقوى في القلوب، والتحلي بمكارم الأخلاق، وضبط النفس والصبر والعفو، وهذه من مقاصد الصيام وحكمه العظيمة؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم: ((الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم)) البخاري ومسلم. وفي رواية: ((.. فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم)).

فنهى النبي صلى الله عليه وسلم الصائم عن الرفث وهو الفحش في الكلام، وعن الصخب وهو الصراخ ورفع الصوت في الخصومة، وعن الجهل وهو السفه على نفسه أو على غيره.

فإذا ابتلي الصائم بمن يجهل عليه فلا يجهل كجهله، وإنما يتحلّى بصفات عباد الرحمن الذين امتدحهم الله تعالى بقوله: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [سورة الفرقان: ٦٣]، وقوله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} [القصص: ٥٥] وقوله سبحانه: {وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة آل عمران: ١٣٤].

وامتثل أمر ربه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [سورة الأعراف: ١٩٩].

فحريّ بالمسلم الذي أدبه القرآن والصيام أن يرى هذا الأدب في سلوكه، وخاصة في مواسم الخيرات والبركات في شهر الصيام وتزكية النفوس وتربيتها، فيبقى قلبه أبيض نقيًا، يحرّكه الإيمان وشعب الخير المتعددة.. يأتي رمضان والصيام ليغسل ما ران عليه الأوساخ والذّنس فلا يبقى للأعمال والأخلاق المشينة إلى قلبه سبيلًا.

فمن فضائل الصيام أنه يُذهب وَحَرَ الصدر؛ أي الغلّ والحقد والغشّ ووساوس الشيطان، وما يحصل في القلب من كدرة وقسوة. فعن علي بن

أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن بَوَحْر الصدر))^{١١٢}.

وفي رواية عند النسائي: قال صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بما يذهب وحر الصدر؟ صوم ثلاثة أيام من كل شهر))^{١١٣}.

وحرُّ على الصائم ألا يجهل مطلقاً، لا مبتدئاً ولا مجاوباً، و(إن امرؤ قاتله أو شتمه) فليصبر، فليس الشديد بالصرعة كما قال صلى الله عليه وسلم ((وإنما الشديد من يملك نفسه عن الغضب))^{١١٤}. ولا يزيد عن أن يقول بلسان حاله ومقاله: (إني امرؤ صائم) أو (إني صائم) يكررها مرتين كما في الصحيحين ولا يزيد عليها (اللهم).

وقول: (إني امرؤ صائم، إني امرؤ صائم). يحتمل وجهين كما قال الخطابي رحمه الله تعالى:

أحدها: أن يقولها فيما بينه وبين نفسه لئلا تحمله النفس على مجازاة الشاتم فيفسد بذلك صومه.

والآخر: أن يقول ذلك بلسانه ليمتنع الشاتم من شتمه إذا علم أنه معتصم بالصيام فلا يؤذيه ولا يجهل عليه.

^{١١٢} مسند أحمد ٢٣٠٦٩ (٣٨ / ١٦٨).

^{١١٣} رواه النسائي ٢٣٨٥ (٤ / ٢٠٨) وصححه الألباني.

^{١١٤} البخاري ٦١١٤ ومسلم ٢٦٠٩.

أو ليشعره أنه غير عاجز عن الرد بالمثل، لكنه يصون صيامه، وأعظمه طاعة ربه في عدم الرد عليه، وهذا تلقين درس عظيم لهذا المعتدي فلعل ذلك يحجزه عن جهله، ويعظم شعيرة ربه.

ولا شك أن هذا أمر يحتاج إلى صبر ومجاهدة، فإن الأخلاق الفاضلة لا يوفق لها إلا أهل العزائم العالية الذين أدبهم الإسلام بشرائعه وشعائره حتى سمت وارتفعت عن أخلاق التشفي والانتقام وعدم العفو عن المسيء والكذب وأخلاق السفهاء، قال تعالى: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٥].

ثم إن الصيام لم يشرع لأجل الامتناع عن الطعام والشراب ونحوهما من المباحات في الأصل، وإنما شرع لتربية النفس وتهذيبها وتركيتها بالأخلاق الفاضلة وتحقيق التقوى في كل شؤونها ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)) رواه البخاري.

فقول الزور يعني الكذب وقول الباطل. والعمل به أي: الباطل. ومعنى الجهل أي: السفه سواء كان سفها على النفس أو على الآخرين.

ويدخل في الجهل جميع المعاصي لأنها من الجهل بالله تعالى، والجهل بقدره تعالى وشرعه، قال تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا} [النساء: ١٧].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (من عمل السوء فهو جاهل ، من
جهالته عمل السوء).^{١١٥}

وهذا الحديث يدل على أمرين:

الأول: أنه يتأكد على الصائم ترك الذنوب والمعاصي أكثر من غيره، وإلا
لم يكن لصيامه معنى.

الثاني: أن الذنوب والمعاصي بجميع أنواعها من ذنوب القلب واللسان
وسائر الجوارح تؤثر في الصوم فتجرحه وتنقص ثوابه وثمرته، وقد عبّر
النبي صلى الله عليه وسلم عن المعاصي القولية بقوله: (قول الزور) وعن
الفعلية بقوله: (والعمل به) وعن عموم المعاصي بما فيها القلبية
بقوله: (والجهل) فكل معصية تقع من الصائم فإن تخدش الصيام وتنقص
أجره، وإن كانت تحصل به براءة الذمة؛ فلا يطالب بقضاء ذلك اليوم لأنه
قد أمسك عن المفطرات الحسية.

الثالث: كما أن الذنوب تؤثر سلباً على الصيام فتتقص ثوابه وثمرته. ففي
المقابل الصيام يؤثر إيجاباً في تربية النفوس وضبط انفعالاتها ورددّها إلى

^{١١٥} تفسير الطبري = جامع البيان (٨ / ٩٠).

الجادة عندما تحيد. فكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى
فكذلك الصيام، وهذا أمر مشاهد؛ فيضبط الانفعالات ويهدب النفوس.
وخير دليل على ذلك أن الله تعالى شرع الصيام كفارة لمن انفلتت عليه
نفسه وتحكم فيه غضبه ومن ذلك:

- كفارة القتل الخطأ؛ فجعل الكفارة صيام شهرين متتابعين لمن لم يتمكن
من تحرير رقبة قال تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً.. } إلى
أن قال: { فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا } [النساء: ٩٢].

- كفارة الظهار قال تعالى: { فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَتَمَاسَا } [المجادلة: ٤].

- ومثل كفارة اليمين.

- وفدية الأذى للمحرم.

- وبدل هدي التمتع لمن لم يجد الهدي.

- والظاهر أن الصيام شرع لضبط النفس عن تلك الانتهاكات
والتجاوزات لترويضها والعودة بها إلى الجادة المستقيمة الآمنة المستقرة.

كما يدل الحديث على أنه يجب أن يكون الصائم متميزًا عن غيره أثناء
صيامه بتقوى الله، والبعد عما اعتاده من التقصير في الواجبات وارتكاب
المنكرات، وعليه الترفع عن سافل الأخلاق وبذيء العبارات، ولذا قال

جابر رضي الله عنه: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء." ١١٦

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللهم زيننا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وسائر أعمالنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١١٦ الغنية لطالبي طريق الحق (١/ ٣٣٤).

الحلقة (١٦)

[للصائم دعوة لا ترد]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يزال الحديث مستمرا عن فضائل الصيام وثمراته.

الفضيلة التاسعة: للصائم دعوة لا ترد.

الدعاء من أفضل العبادات وأحبها إلى الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم:
((الدعاء هو العبادة))^{١١٧} وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].
وقال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦]. وهذا
وعد إلهي مؤكد والله لا يخلف الميعاد.

وقد ذكر الله تعالى هذه الآية بين آيات الصيام: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ} [سورة البقرة: ١٨٣] وآية: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ
إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: ١٨٧]، وفي ذلك إشارة إلى أهمية الدعاء عند القيام
بهذه الشعيرة، وحرّي بالداعي فيها أن يستجاب له كما وعد الله تبارك

^{١١٧} مسند أحمد ١٨٣٥٢ (٣٠/٢٩٨).

وتعالى؛ ولذلك قال ابن الجوزي رحمه الله عن شهر الصوم، شهر رمضان:
" لا دعاء فيه إلا مسموع، ولا عمل إلا مرفوع، ولا خير إلا مجموع، ولا
ضرر إلا مدفوع".^{١١٨}

وهذه الآية الكريمة فيها من اللطائف والإشارات للمتأمل ما يبهر
العقول ويحفز الهمم في المزيد من التضرع والدعاء، ومن هذه اللطائف:
١- أنها جاءت بين آيات الصيام مشعرة بأن الصيام مظنة الإجابة كما
تقدم.

٢- أن الله تبارك وتعالى تولّى الإجابة بنفسه العلية فقال: {وإذا سألك
عبادي عني فإني قريب..} على خلاف غيرها من الآيات التي أشار الله
تعالى فيها إلى الواسطة: {يسألونك عن..}.

٣- تقديم القرب على الدعاء (فإني قريب) ليطمئن الداعي إلى أنه في
مكانة عظيمة من المدعو؛ فيطمئن قلبه ويثق بقبول الدعاء، وقد سأل
الصحابة.

٤- تقديم الإجابة على الدعاء {أجيب دعوة الداعي إذا دعان} مشعر
بتحقق وسرعة الاستجابة.

٥- في الآية ثلاثة شروط ونتيجة؛ فإذا حقق العبد الشروط كانت
النتيجة.

^{١١٨} بستان الواعظين(ص ٢١٥).

أ- أما الشرط الأول ففي قوله تعالى: {إذا دعان} فعلى العبد الدعاء وليوقن بالإجابة كما قال عمر رضي الله عنه: (إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء)^{١١٩} يعني: لأن الإجابة مضمونة.

ب- أما الشرط الثاني ففي قوله تعالى: {فليستجيبوا لي} فشرط إجابة الدعاء؛ الاستجابة لله وللرسول قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤].

ففيها إشارة إلى أن عليكم أن تجيبوا دعوتي ودعوة رسولي حتى أجيب دعاءكم.

ج- الثالث: الإيمان بالله {وليؤمنوا بي} فشرط قبول كل عمل صالح الإيمان بالله تعالى.

د- أما النتيجة ففي قوله تعالى: {لعلهم يرشدون} ولعل هنا للتحقيق. أي: يعدهم تعالى إذا دعوا الله عز وجل واستجابوا وآمنوا أن يحقق لهم الرشد والفوز والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((ليس شيء أكرم على الله من الدعاء)).^{١٢٠} وأرجى ما يكون الدعاء في الأوقات الشريفة، وفي أثناء الصيام.

^{١١٩} الداء والدواء = الجواب الكافي (١ / ٢٩).

^{١٢٠} الترمذي ٣٣٧٠

وقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزّي لأنصرنك ولو بعد حين)).^{١٢١}

وهذا دليل على أن دعاء الصائم ليس عند الإفطار فقط، بل طيلة صيامه (الصائم حتى يفطر) فيكثر الصائم من الدعاء في أثناء صيامه وعند إفطاره، وبعده.

ومن حديث عبد الله بن أبي مليكة قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد)).^{١٢٢}

فالدعاء يكون قبل الإفطار وبعده، لأن كلمة (عند) تشمل الحالتين.^{١٢٣}

قال ابن أبي مليكة وسمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: (اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي).^{١٢٤}

^{١٢١} ابن ماجه ١٧٥٢ والترمذي ٣٥٩٣ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

^{١٢٢} ابن ماجه ١٧٥٣ وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتوحات الربانية (٣٤٢/٤) والألباني في صحيح الجامع ١٥٥٤.

^{١٢٣} اللجنة الدائمة (٣٠/٩).

^{١٢٤} ابن ماجه ١٧٥٣.

وعنه من حديث ابن عمر قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أفطر قال: ((ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء
الله)).^{١٢٥}

وهذا دعاء ورجاء أن ينال بصومه وتعبه الأجر والثواب على تلك
العبادة، وفيه استبشار بأنه قد فاز ونال مطلوبه بعد التعب والنصب بثبوت
الأجر من الله تعالى.

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها إن هي
وافقت ليلة القدر بأن تقول: ((اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف
عني)).^{١٢٦}

فالصيام الواجب والنفل مظنة استجابة الدعاء، فعلى الحريص على نجاته
نفسه استثمار هذه الشعيرة وكثرة التضرع والانكسار والدعاء بين يدي الله
عز وجل، وخاصة في أثناء الصيام الواجب من رمضان المبارك الذي جمع
الله فيه بين شرف الزمان وشرف العبادة وتعدد مناسبات الدعاء في أثناء
الصيام وعند الإفطار وبعده، وعند القيام والقنوت وختم القرآن وعند
السحور، وفي الثلث الآخر من الليل عند النزول الإلهي، وبين الأذان
والإقامة، وساعة الجمعة، وغيرها من مواطن مظنة الإجابة.

^{١٢٥} رواه أبو داود (١١) وابن خزيمة (٦٠) والدارقطني (٥٨/١) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥٧).

^{١٢٦} رواه الترمذي ٣٥١٣ وابن ماجه ٣٨٥٢.

اللّهُمَّ تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وسائر أعمالنا، واجعلها خالصة
لوجهك الكريم، موافقة لسنة نبيك الكريم، اللّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، اللّهُمَّ صل وسلم وبارك على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (١٧)

[تتمّة الفضيحة التاسعة: للصائم دعوة لا ترد]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاستكملاً لما يتعلق بالفضيلة السابقة وهي أن للصائم دعوة لا ترد، نقول:

إن إجابة دعوة الداعي متحققة بإذن الله تعالى عند توفر شروطها وانتفاء موانعها، ومن أهم شروط القبول:

١- تحقيق التوحيد. فهو شرط صحة لكل عبادة قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} [الأنبياء: ٩٤]. وقال تعالى عن الكافرين: {فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر: ٥٠].

٢- صدق التوجه، وحضور القلب، والإخلاص في الدعاء لله تعالى.

٣- عدم الاعتداء في الدعاء كسؤال العبد الله ما لا يجوز له أن يسأله. وعدم التكلف في السجع والمبالغات، قال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥].

٤- عدم التلبس بالحرام، والحرص على الطعام الحلال، ففي الحديث: ((.. وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك" ١٢٧ وقال صلى الله عليه وسلم لسعد رضي الله عنه: ((أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة)). ١٢٨

٥- إحسان الظن بالله تعالى واليقين بالإجابة، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((ادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة)). ١٢٩

٦- عدم الاستعجال، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول دعوت فلم يستجب لي" ١٣٠

٧- عدم تعليق الدعاء بالمشيئة، لحديث: "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني..". ١٣١

وليعلم الداعي أن هذه الإجابة متنوعة؛ فقد يتحقق عين المطلوب تفضلاً من الله وكرماً، وقد يتحقق غيره، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث؛ إما أن

١٢٧ صحيح مسلم ١٠١٥ (٢/٧٠٣).

١٢٨ المعجم الأوسط (٦/٣١١).

١٢٩ سنن الترمذي ٣٤٧٩ (٥/٥١٧) حسنه الألباني.

١٣٠ موطأ مالك ٧٢٣ (٢/٢٩٨).

١٣١ صحيح البخاري ٦٣٣٨ (٨/٧٤).

يعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يكف عنه من الشر مثلها. قالوا: إذاً نكثر. قال: الله أكثر)). ١٣٢

قال ابن الجوزي رحمه الله: "اعلم أن الله عز وجل لا يرد دُعاء المؤمن، غير أنه قد تكون المصلحة في تأخير الإجابة، وقد لا يكون ما سأله مصلحة في الجملة فيعوضه عنه ما يصلحه. ورُبما أّخر تعويضه إلى يوم القيامة. فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَلَّا يَقْطَعَ الْمَسْأَلَةَ لِامْتِنَاعِ الْإِجَابَةِ". ١٣٣ قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} [البقرة: ٢١٦]. وهذا في إجابة دعاء المسألة. أمّا دعاء الثناء فهو بإثابة المثني على ثنائه. ١٣٤ وهذا الدعاء بنوعيه الطلبي والثناء من الأعمال الصالحات والعبادات الجليلة التي يثاب عليها العبد سواء قبل الدعاء أو لم يقبل؛ لأنها عبادة، أما القبول فله شأن آخر، وقد قال الله تعالى: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة: ٢٧].

كما ننبه إلى أمر آخر وهو ما أشار إليه الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى، وهو أن الإنسان حين يدعو الله لا يجعل هدفه وغايته هو تحقيق مطلوبه، بل يراعي أن الدعاء عبادة لله تعالى يحتسب الأجر عند الله عليها... الخ. ثم إن هناك من الوسائل والأحوال والأزمان والأمكنة ما يكون معيناً على إجابة

١٣٢ أخرجه أحمد (١٨/٣) وابن أبي شيبة (٢٠١/١٠) والحاكم (٤٩٣/١) والطبراني وأبو يعلى والبخاري، قال المنذري:

(بأسانيد جيدة) الترغيب (٢٧٢/٢).

١٣٣ كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/٤٠١).

(١٣٤) انظر زاد المعاد (٢٣٥/١).

الدعاء بإذن الله تعالى، دل عليها الشارع الحكيم، وبين أن الإجابة ترجع إلى الأسباب الآتية أو بعضها:

١- الوسيلة: وخير ما يتوسل به إلى الله تعالى الثناء عليه ودعاؤه بأسمائه الحسنى، قال الله عز وجل: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة الأعراف: ١٨٠] ومن هذه الأسماء الحسنى؛ الاسم الأعظم موضوع الدراسة.

٢- حال الداعي: كالمضطر، وقد قال الله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].
- والمظلوم كما قال النبي ﷺ ((.. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)) (١٣٥).

والمسافر كما قال النبي ﷺ: ((ثلاث دعوات مستجابات، لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم)) (١٣٦).

٣- زمان الدعاء: كثلث الليل الآخر من كل ليلة، لما في حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له» (١٣٧).

وكساعة الجمعة: لما ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ذكر الجمعة قال: ((فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي، يسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه)) (١٣٨).

٤- مكان الدعاء: وذلك كالمساجد والمشاعر المقدسة؛ كعرفة والمشعر الحرام

(١٣٥) أخرجه البخاري ١٤٩٦ (٤١٨/٣) ومسلم ١٩ (٥٠/١).

(١٣٦) أخرجه أبو داود ١٥٢٢٢ (عون ٣٩٥/٤) والترمذي ٣٤٤٨ (٥٠٢/٥) وحسنه.

(١٣٧) أخرجه البخاري ١١٤٥ (فتح ٣٥/٣)، ومسلم ٧٥٨ (٥٢١/١).

(١٣٨) أخرجه البخاري ٩٣٥ (فتح ٤٨٢/٢)، ومسلم ٨٥٢ (٥٨٣).

والجمرتين الصغرى والوسطى وجوف الكعبة والصفاء والمروة والملتزم (١٣٩).

فهذه وغيرها كثير من الوسائل التي وعد الله عندها إجابة الداعين، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومن المسلمين.

وأكمل الدعاء وأتمه ما اشتمل على أمور ثلاثة:

١- بيان حال المسئول: وهو أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته، ويتوسل إليها بها، ويبين كمال عظمته، وغناه سبحانه وتعالى.

٢- بيان حال السائل: وهو أن يتوسل العبد إلى الله تعالى بضعفه وعجزه وحاجته، كأن يقول: أنا العبد الفقير المسكين البائس الذليل المستجير؛ ونحو ذلك.

٣- بيان الحاجة والمطلوب: وهو الدعاء الطلبي.

قال ابن القيم: (فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل. وهذه عامة أدعية النبي ﷺ، وفي الدعاء الذي علمه صديق الأمة ذكر الأقسام الثلاثة) ويعني به قوله ﷺ لأبي بكر حينما قال يا رسول الله؛ علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال ﷺ: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) (١٤٠).

قال ابن القيم: (فإنه قال في قوله «ظلمت نفسي ظلماً كثيراً» وهذا حلا للسائل. ثم قال: «وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وهذا حال المسئول، ثم قال: «فاغفر لي» ذكر حاجته ختم الدعاء باسمين من الأسماء الحسنى، تناسب المطلوب وتقتضيه) (١٤١) والله أعلم.

وسيد الاستغفار الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع هذه الخصال الثلاثة: ((اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك

(١٣٩) وفي أسانيد بعض هذه المواطن كلام. انظر تحقيق ذلك في زاد المعاد (٢/٢٨٨، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨).

(١٤٠) أخرجه ٨٣٤ (فتح ٢/٣٧٠)، ومسلم ٢٧٠٥ (٤/٢٠٧٨).

(١٤١) جلاء الأفهام (ص ١١٨).

بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت))^{١٤٢} وهذه جمعت الثناء على الله تعالى بتوحيده وتعظيمه وعبودية السائل لمولاه.

وفي قوله: (أعود بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي) يبيّن حال السائل وضعفه وافتقاره والاعتراف بذنبه.

وفي قوله: (فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) بيان المطلوب مع الختام بالثناء على الله بما هو أهله.

ومثل الدعاء -المتقدم- الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم أبابكر. فإن فيه بيان حال العبد وضعفه واعترافه بذنبه.

وقوله: (فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) هذا ثناء على الله تعالى بما هو أهله. وقوله: (فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) فيه جمع بين السؤال الطلبي والثناء.

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله بعد آية: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥]. فوائد قيّمة استهلّها بقول الحسن: بين دعوة السرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت أي ما كانت إلا همسا بينهم وبين ربهم عز وجل؛ وذلك أن الله عز وجل يقول: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}.

^{١٤٢} صحيح البخاري ٦٣٠٦ (٨ / ٦٧).

وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنه أعظم إيمانا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.
ثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم لأن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم ومن رفع صوته لديهم مقتوه والله المثل الأعلى.
ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده.

رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه فكلما خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعو سبحانه.
سادسها: - وهو من النكت البديعة جدا - أنه دال على قرب صاحبه للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله عز وجل: { إذ نادى ربه نداء خفيا }.

سابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يملّ والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يملّ اللسان وتضعف قواه.
ثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات؛ فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد فلا يحصل على هذا تشويش ولا غيره وإذا جهر به فرطت له الأرواح البشرية ولا بد وممانعته وعارضته ولو لم يكن إلا أن تعلقها به يفرع عليه همته؛ فيضعف أثر الدعاء.

تاسعها: أنه أعظم النعمة - ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت - ولا نعمة أعظم من هذه النعمة فإن أنفس الحاسدين متعلقة بها وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد؛ ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله تعالى ولا يطلع عليه أحد.

عاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه وتعالى متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه فهو ذكر وزيادة. ١٤٣

اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا، واختم بالصالحات أعمالنا وآجالنا.
اللهم أفرحنا بتمام الصيام والقيام، ومحو الذنوب والآثام، ودخول جنتك دار السلام، والنظر إلى وجهك الكريم يا ذا الجلال والإكرام.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٤٣ مجموع الفتاوى (١٥ / ١٥) بتصرف.

الحلقة (١٨)

[الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يزال الحديث مسلسلاً بذكر فضائل الصيام:

الفضيلة العاشرة: أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة.

فمن فضائل الصيام أنه يأتي يوم القيامة شافعاً للعبد، وهذا دليل على فضل الصيام فرضاً كان أو نفلاً، وجاء مقروناً بالقرآن، والصلة بينهما وثيقة، ولذلك فإنهما يشفعان لصاحبهما يوم القيامة فيشفعان، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعه الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعه النوم بالليل، فشفعني فيه"، قال: "فيشفعان)).^{١٤٤}

كما بين صلى الله عليه وسلم أن الصيام يحاج عن صاحبه ويدافع عنه ويقيه من العذاب في القبر، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي

^{١٤٤} رواه أحمد في المسند (٦٦٢٦/٦) وابن المبارك في الزهد (١١٤/٢) والطبراني في الكبير (٧٢/١٤) والحاكم في المستدرک (٢٣٦) وقال على شرط مسلم وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢) وقال: حسن أو حسن صحيح.

صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولُّون عنه مدبرين. فإذا كان مؤمناً، كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، وكان الصيام عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله، فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخلٌ. فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قبلي مدخلٌ. فيؤتى عن يساره فيقول الصيام: ما قبلي مدخلٌ. فيؤتى من عند رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخلٌ. فيقال له: اجلس. فيجلس)).^{١٤٥}

الفضيلة الحادية عشرة: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

فمن فضائل الصيام وشرف الصائمين عند الله تعالى أن ما ينتج عن هذه العبادة من آثار قد تكون مستقبحة عادة عند الناس إلا أن الله تعالى لمحبه هذه العبادة فإنه يجب الأثر المترتب عليها، ويقلب الرائحة الناتجة عن خلوف معدة الصائم من الطعام إلى أن تكون عنده تعالى أطيب من ريح المسك، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله

^{١٤٥} رواه عبد الرزاق في المصنف (٥٦٧/٣-٥٦٨) وابن أبي شيبة (٢٣٢/٧-٢٣٤) من حديث أبي هريرة موقوفاً، وأخرجه ابن حبان (٣١١٣) والطبراني في الأوسط (١٠٥/٣-١٠٧) والحاكم في المستدرک (٣٧٩/١-٣٨١) وغيرهم مرفوعاً، قال الحاكم على شرط مسلم، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢/٣) والألباني في صحيح الترغيب (٤٠٣/٣).

صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك))^{١٤٦}.

والخلوف -بضم الخاء واللام-: هو تغير رائحة الفم التي تنشأ عادة عند الصائمين نتيجة خلو المعدة من الطعام.

فهذا الحديث يدل على شرف الصائم ومنزلة الصيام فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقسم وهو الصادق المصدوق على هذا الفضل العظيم للصائم والمنزلة الرفيعة للصيام، حتى إن الشيء المكروه المستخبث عند الناس يكون محبوباً طيباً عند الله؛ لكونه نشأ عن طاعته بالصيام.

وهذا نحو قوله صلى الله عليه وسلم في بيان فضل الجهاد في سبيل الله ومنزلة المجاهدين: ((ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى، اللون لون دم، والريح ريح مسك))^{١٤٧}.

ونظراً لشرف الصيام ومنزلته عند الله تعالى فقد جعل هذه الرائحة الزكية سمة وميزة يتمييز بها الصائمون عن غيرهم يوم القيامة، كما تميّزوا بتخصيص باب الريان لدخولهم دون غيرهم. والصوم من أعمال السرّ بين العبد وربّه، فجعل الله تعالى رائحة صومه علامة له يوم القيامة، والعلم عند الله.

^{١٤٦} صحيح البخاري (٣/ ٢٤) صحيح مسلم ١١٥١ (٢/ ٨٠٦).

^{١٤٧} صحيح البخاري (٧/ ٩٦).

قال ابن حبان رحمه الله: "شعار المؤمنين في القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوفهم أطيب من ريح المسك ليعرفوا بين ذلك الجمع بذلك العمل، نسأل الله بركة ذلك اليوم".^{١٤٨}

وهذا الفضل لخلوف فم الصائم لا يعارض مشروعية السواك للصائم قبل الزوال وبعده لحديث عامر بن ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما لا أحصي يتسوك وهو صائم).^{١٤٩} ولم يثبت في كراهة السواك للصائم شيء، والخلوف ليس في محل السواك إنما هو أبخرة المعدة فلا يزيله السواك. ووجود الخلوف ليس مقصودا لذاته ولا مراداً لكنه إن وجد فإنه يكون أطيب عند الله من المسك.

ولذا فليس من المشروع تعمد وجود الروائح الكريهة، وعدم النظافة للصائم، بل هذا خلاف مقصود الشارع، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبّ الطيب ولا يردّه، ويأمر بالاعتسال والتنظف والسواك والتطيّب في الجمعة وغيرها، وعند الحاجة لذلك للصائم، ويأمر من أكل شيئاً له رائحة كريهة كالثوم والبصل أن يعتزل المسجد.

^{١٤٨} صحيح ابن حبان - محققا (٢١١ / ٨).

^{١٤٩} رواه الترمذي ٧٢٥ (٣ / ٩٥) وحسنه.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وسائر أعمالنا، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (١٩)

[بشارة نبوية للصائمين]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فنحن على مشارف نهاية هذا الشهر المبارك، وعلى أعتاب وداع هذا
الموسم العظيم. ولعل من المناسب أن نرفّ إليك أخي الصائم الكريم
بشارتين من نبيك صلى الله عليه وسلم الذي {لا ينطق عن الهوى}؛
بشارتين نبويتين أعدّهما الله تعالى للصائمين، يفرحون بها في الدنيا وفي
الآخرة، {قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون}،
والصيام من أعظم أركان الإيمان وشعبه العظام.
يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه: ((للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه)).^{١٥٠}
والفرح كما يعبر عنه أهل الاختصاص: "لذة في القلب بإدراك المحبوب".
وفي هذا الحديث بيان ثوابين جليلين، وأجرين عظيمين للصائمين الذين
قاموا بحقوق الصيام وواجباته، سواء كان صيام رمضان أو غيره،
أحدهما معجل في الدنيا، والآخر مؤخر في الآخرة.

^{١٥٠} البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

أما المعجّل في الدنيا؛ فهو ما نبّه إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

(فرحة عند فطره)، وهذا يشمل فطره اليومي.

كما يشمل فطره الشهري بإتمام صيام الشهر المبارك قال تعالى: {ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلم تشكرون}.

وهذا الفرح على نوعين:

١- فرح جبلي طبيعي، فالإنسان يفرح بالشيء يلائمه، وإذا منع من شيء

ثم أذن له فيه فإنه يفرح به، خاصة إذا اشتدت الحاجة إليه كالعطش

والجوع للصائم عادة فهو يفرح ويلتذ بفطره لأنه جاء على فاقة، ويؤيد

ذلك ما ورد في زيادة عند مسلم بزيادة: ((إذا أفطر فرح بفطره)).^{١٥١}

٢- فرح إيماني تعبدي، وهو الفرح باستكمال أداء عبادة الصيام لذلك

اليوم وذلك الشهر بتمامه من غير نقص فيها وسلامة من العوارض

المعيقة عن إتمام الصيام يرجو ثواب الله تعالى.

وهذان الفرحان الإيماني والطبيعي يشير إليهما دعاء النبي صلى الله عليه

وسلم إذا أفطر (ذهب الظمأ وابتلت العروق) وهذا الفرح الطبيعي

و(ثبت الأجر إن شاء الله)^{١٥٢} هذا الفرح الإيماني.

^{١٥١} صحيح مسلم ١١٥١ (٢/٨٠٧).

^{١٥٢} تقدم تخريجه.

والفطر عبادة، كما أن الصوم عبادة، والعادات تنقلب إلى عبادات بالنية الصالحة، فالصائم مثاب على فطره، يتقرب إلى الله تعالى بتعجيل إفطاره كما حثّ على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك بتناول ما أباح الله تعالى له. ويتعجل بإفطاره لتحقيق مخالفة أهل الكتاب كما حثّ على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر، إن اليهود والنصارى يؤخرون)).^{١٥٣}

فالمؤمن يتقلب في مرضي الله تعالى في كل أحواله، فكما يمتنع عن الطعام والشراب والشهوة في نهار رمضان امتثالاً لأمر الله تعالى، فكذلك يتناول ما أباحه الله تعالى بعد غروب الشمس امتثالاً وتقرباً إلى الله تعالى قال أبو العالية رحمه الله: (الصائم في عبادة وإن كان نائماً على فراشه).

والناس في هذه المواقف يفترون؛ فمنهم من يفرح تخلصاً من العبادة والطاعة كقول ذلك المخدول: {قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا} [النساء: ٧٢]؛ فيحمد الله على أن أبعده عن مشاهد القتال تحت راية خير خلق الله؛ فالتوفيق محض لطف الله سبحانه.

ومنهم من يفرح بمنة الله تعالى عليه بأداء تلك العبادة وتمامها ورجاء ثوابها.

^{١٥٣} مسند أحمد ٩٨١٠ (١٥ / ٥٠٣).

وعلى كلِّ فالفرح بنوعيه حاصل للصائم عند فطره، وله من الحلاوة في القلب ما لا يعرفها ولا يجدها إلا من هو صائم حقاً، والناس يتفاوتون في ذلك تفاوتاً بيناً، فمنهم من يجتمع له الفرحان ومنهم من يقتصر على أحدهما، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. وقد كانت حفصة رضي الله تعالى عنها تقول: (يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي)^{١٥٤}

فالصائم في ليله ونهاره في عبادة، ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابر، وفي ليله طاعم شاكراً، وفي الحديث عند الترمذي مرفوعاً: ((الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر))^{١٥٥} وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها))^{١٥٦}. فهذا حال المؤمن، يتقلب في أنواع النعم فيحمد الله عليها. **أما الفرح المؤخر؛** وهو ما عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (وفرحة عند لقاء ربه).

^{١٥٤} لطائف المعارف (ص: ١٥٧).

^{١٥٥} سنن الترمذي ٢٤٨٦ (٤/٦٥٣)، حسنه الأرنؤوط وصححه الألباني.

^{١٥٦} صحيح مسلم ٢٧٣٤ (٤/٢٠٩٥).

وهذه أجل وأعظم من الفرحة الصغرى المعجلة { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا } [آل عمران: ٣٠] قال تعالى: { وَلِآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ
مِنَ الْأُولَى } [الأعلى: ٤] وقال تعالى: { قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ
اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [سورة آل عمران: ١٥].

والمراد بقاء الله تعالى هنا هو المصير إلى الدار الآخرة وما فيها من النعيم
المقيم، وأعلاه ملاقة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم، ولذا؛ فهذا
الفرح على نوعين أيضاً:

١ - إما فرح وسرور بقاء ربه تعالى وخالقه، وهذا أعلى أمانيه، وأفضل
نعيم الجنة أن يرى ربه تبارك وتعالى.

وكيف لا يفرح بذلك وهو الذي طالما دعا ربه: (وأسألك لذة النظر إلى
وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة ولا فتنة
مضلة). ١٥٧.

وقد وعده ربه تبارك وتعالى بأن (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه). ١٥٨.

١٥٧ النسائي (١٣٠٥) وصححه الألباني.

١٥٨ البخاري (٧٠٩٥) ومسلم (٢٦٨٣).

٢- وإما فرح وسرور بقبول صومه، وترتب الجزاء الوافر عليه، فيفرح بثواب الله تعالى له ودخوله الجنة من باب الريان الذي طالما أظماً نهاره وأحیی ليله ابتغاء ما عند الله تعالى.

وكيف لا يفرح وقد غفر الله له ذنوبه وآثامه، وتقبل عبادته، ورضي عنه {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} [التوبة: ٧٢]، أي: أكبر من الجنة. اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا، واختم بالصالحات أعمالنا وآجالنا. اللهم أفرحنا بتمام الصيام والقيام، ومحو الذنوب والآثام، ودخول جنتك دار السلام، والنظر إلى وجهك الكريم يا ذا الجلال والإكرام. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٢٠)

[مخالفة أهل الكتاب في شعائر الصوم]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لا زلنا نتنقل بين الفضائل العظيمة والثمار اليانعة لهذه الشعيرة العظيمة
وهي الصيام.

الفضيلة الثالثة عشرة: تأكيد مخالفة أهل الكتاب.

من مقاصد الإسلام وأصوله العظيمة مخالفة أهل الكتاب والمشركين؛ لما
في ذلك من اعتزاز المسلم بدينه واستقلالية تشريعاته، والنصوص في
الأمر بمخالفتهم مستفيضة ومشهورة، منها إخباره صلى الله عليه وسلم
على سبيل التحذير: ((لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ،
حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ؟)).^{١٥٩}

فالمسلم له هويته التي تميزه عن غيره، وشريعته التي فضله الله بها على
العالمين، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصًا على بقاء هذا التمييز

^{١٥٩} رواه البخاري (٣٤٥٦).

والتَّفْضِيلِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ
مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَيُحَذِّرُ مِنْ مُتَابَعَتِهِمْ.

وجاء تأكيد ذلك في الشعائر التعبدية المشتركة كالصلاة والحج، ومن
ذلك التأكيد على مشروعية مخالفتهم في الصيام أيضاً، ففي مسلم عَنْ
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنْ فَضَلَ
مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلَةُ السُّحُورِ))^{١٦٠}.

ومعلوم أن أهل الكتاب كان يلزمهم الإمساك عن الطعام والشراب
والجماع إذا هم ناموا، فجاء التوجيه النبوي الحاث على أكلة السحور التي
تكون عادة بعد الاستيقاظ من النوم وقبيل الإمساك عند طلوع الفجر
حين يلزم الإمساك.

وهذا الحديث يدل على مشروعية أكلة السحور؛ وتعليل ذلك بمخالفة
أهل الكتاب.

كما جاء أيضاً هذا التعليل وهو مخالفة أهل الكتاب بتأخير السحور
وتعجيل الفطر فقال صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال أمتي بخير ما
أخروا السحور وعجلوا الفطر))^{١٦١}.

^{١٦٠} صحيح مسلم (١٠٩٦).

^{١٦١} مسند أحمد ٢١٥٠٧ (٣٥/٣٩٩).

كما جاء الحثّ على تعجيل الفطر لعلّة المخالفة نفسها؛ فقد روى أبو داود وغيره بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون)).^{١٦٢}

ولتأكيد مخالفة أهل الكتاب في أكلة السحور فقد أكد عليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله:

- فقال صلى الله عليه وسلم: ((تسحروا فإن في السحور بركة)).^{١٦٣} وهذه البركة تحصل من عدة جهات:

- منها اتباع السنة.

- ومنها مخالفة أهل الكتاب، فالبركة في مخالفتهم.

- ومنها التقوي على العبادة، وغيرها.

ففيها منافع معنوية وحسية ونفسية.

- وأما فعله صلى الله عليه وسلم فكان يتسحر قبيل أذان الفجر، قال

أنس رضي الله تعالى عنه: (إن نبي الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن

ثابت رضي الله تعالى عنه تسحرا؛ فلما فرغا من سحورهما قام النبي صلى

الله عليه وسلم إلى الصلاة فصلّى، قلنا لأنس: كم كان بين فراغهما من

^{١٦٢} سنن أبي داود ٢٣٥٣ (٢/٣٠٥).

^{١٦٣} صحيح البخاري ١٩٢٣ (٣/٢٩).

سحورهما ودخولهما في الصلاة ؟ . قال : قدر ما يقرأ الرجل خمسين

آية). ١٦٤

فعلى المسلم ألا يفرط في هذه البركة ولو بشيء يسير؛ بتمرات ولبن، أو

تمرات وماء وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((نعم سحور المؤمن

التمر)). ١٦٥

اللهم تقبل منا الصيام والقيام والصدقات، اللهم اغفر لنا ولوالدينا

ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، إنك سميع قريب مجيب

الدعوات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٦٤ صحيح البخاري ٥٧٦ (١ / ١٢٠).

١٦٥ سنن أبي داود ٢٣٤٥ (٢ / ٣٠٣).

الحلقة (٢١)

[الصيام من أكبر أسباب تحفيز الهمم على البذل والعطاء والجود]

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يزال الحديث متواصلاً عن فضائل الصيام.

الفضيلة الرابعة عشرة: الصيام من أكبر أسباب تحفيز الهمم على البذل

والعطاء والجود.

فإن الصيام من أكبر العوامل التي تعين المسلم على التغلب على الشَّحِّ،
وتساعد على البذل والعطاء والجود. فإضافةً إلى كون الصيام يزيد في الإيمان
الدافع إلى السعي إلى ما يقرب إلى الدار الآخرة ونعيمها ويزهد في الدنيا
وزخرفها الزائل، فإنه في أثناء صومه يشعر بضعفه وفقره وحاجته إلى مولاه
تعالى.

كما يشعر بما يعانيه الفقراء والمحتاجون من الفاقة وقلة ذات اليد.
فيكون سبباً في مزيد البذل والجود والعطاء، ولذلك عدّه بعض السلف
من حِكَمِ الصيام؛ فلما سئل: لم شرع الصيام؟ قال: " ليدوق الغني طعم
الجوع فلا ينسى الجائع".^{١٦٦}

^{١٦٦} لطائف المعارف (ص ٣١٤).

وجود الله تعالى وكرمه يزداد على العباد في رمضان، وهو يجب من عباده أن يجودوا ويتكرموا في هذا الشهر الكريم ليزداد جوده عليهم، والجزاء من جنس العمل.

وقدوتنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب أروع المثل في جوده وسخائه بكل ما يملك صلى الله عليه وسلم وفي كل الأوقات، فعن أنس بن مالك، قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس)).^{١٦٧}

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: (ما رأيت أحدا أنجد، ولا أجود، ولا أشجع، ولا أضوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم).^{١٦٨}

وهذا مما جُبل عليه، عليه الصلاة والسلام، حتى قبل البعثة، قالت خديجة رضي الله تعالى عنها: (كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).^{١٦٩} قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان، حتى

^{١٦٧} صحيح مسلم ٢٣٠٧ (٤ / ١٨٠٢).

^{١٦٨} سنن الدارمي ٦٠ (١ / ٢٠٤).

^{١٦٩} صحيح البخاري (٧ / ١).

ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام، كان أجود بالخير من الريح المرسلة)).^{١٧٠}

ويصور لنا ابن القيم رحمه الله تعالى شيئاً من جوده وسخائه فيقول:
"كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى، ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة.
وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه.
وكان ينوع في أصناف عطاءه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعاً، كما فعل ببيعير جابر... وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله، فيخرج ما عنده، ويأمر بالصدقة، ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى.

^{١٧٠} صحيح البخاري ١٩٠٢ (٣/٢٦).

وكان هديه صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإحسان والصدقة
والمعروف" ١٧١.

وإذا فهمت ما تقدم من أخلاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينبغي للأمة التأسى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في
السخاء، والتمسك بالاعتداء به، والإكثار من ذلك في شهر رمضان لحاجة
الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل الكثير منهم بالصوم والصلاة عن
مكاسبهم، ولشرف الزمان ومضاعفة أجر العامل، وإدامة الصائمين
والقائمين والمتعبدين على طاعتهم، فيكتب لهم مثل أجورهم.

هذا هو هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الجود والكرم في رمضان، قال
الشافعي رحمه الله: "أحبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان، اقتداءً
بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل
كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم..". ١٧٢.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "إعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان
من سنن الإسلام". ١٧٣.

١٧١ زاد المعاد في هدي خير العباد (٢ / ٢١).

١٧٢ بغية الإنسان لابن رجب (ص ٣١).

١٧٣ مجموع الفتاوى (٢٥ / ٢٩٨).

والجود على الصائمين وأصحاب الحاجات في رمضان يكون سببا في الحصول على مثل أجورهم كما قال صلى الله عليه وسلم: ((من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء)).^{١٧٤} وهذا يشمل من يدفع قيمة التّفطير، كما يشمل من يقوم بالخدمة والإشراف على ذلك إذا احتسب الأجر.

ومن وفقه الله للجميع بين القيام وإطعام الطعام فهذا له جزاء خاص من رب العالمين، قال صلى الله عليه وسلم: ((إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنهما من ظاهرها)) قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((من أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام)).^{١٧٥} كما أن ملائكة السماء تدعو في كل يوم لكل منفق، قال صلى الله عليه وسلم: ((ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا)).^{١٧٦} اللهم وفقنا للجود والإحسان، وجُد علينا بفضلك وجودك يا منان. اللهم تقبل منا الصيام والقيام والصدقات، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

^{١٧٤} أخرجه الترمذي (٧٣٥) وقال حسن صحيح، وابن ماجه (١٧٣٦) وابن حبان في صحيحه (٣٤٢٩) وأحمد وغيرهم، قال الأرنؤوط: حسن بشواهد.

^{١٧٥} مسند أحمد ١٣٣٨ (٢/٤٤٩).

^{١٧٦} صحيح البخاري ١٤٤٢ (٢/١١٥)، صحيح مسلم ١٠١٠ (٢/٧٠٠).

الحلقة (٢٢)

[تتمة: الإنفاق والجود في رمضان]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فتقدمت الإشارة إلى الإنفاق والجود في رمضان، وهدى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وبيان أن طلاقة اليد بالإحسان وسلامة القلب من الشح والبخل هي بعض آثار الصيام في تهذيب النفس وتنقيتها من سافل الأخلاق، وحثها على مكارمها.

والإنفاق في سبيل الله تعالى شعيرة عظيمة حث عليها ديننا الحنيف في غير ما آية، كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأشار إلى بعض آثاره الدينية والدينية.

ومن الآيات التي حث الله تعالى فيها على الإنفاق في سبيل الله قوله تعالى: { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى في بيان أجر المنفقين وسعة أجورهم وثوابهم ومضاعفتها: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [سورة البقرة: ٢٦١]. وقال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [آل
عمران: ١٣٣-١٣٤].

بل إن الله تعالى جعل الإنفاق في سبيله من الجهاد الذي قد يُقدّم أحياناً
على الجهاد بالنفس في أكثر من آية فقال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ } [الحجرات: ١٥].

وجعل الإنفاق في سبيله استقراضاً يستقرضه الله تعالى من عبده، وهو
سبحانه وتعالى واهب المال ومالكه، وهو الغني عن خلقه تعالى فيقول
تعالى: { وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ } [النور: ٣٣] وقال تعالى: { مَنْ ذَا
الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ
وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [البقرة: ٢٤٥].

فيستقرض الله من عبده المال الذي آتاه ويعده أن يضاعفه له أضعافاً
كثيرة، ثم يهدده إن قصر في الاستجابة لأمر الله بأن الله يقبض ويبسط،
فالأمر بيده وحده وإليه ترجعون.

كما بين تعالى أن الإنفاق والجود والكرم طهرة للنفس وتزكية للقلب،
وأماناً للمال وتنمية له فقال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {سورة التوبة: ١٠٣}.

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الإنفاق سترٌ من النار، ووقاية من عذاب جهنم كما في الحديث الذي رواه الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اتقوا النار ولو بشق تمره)).^{١٧٧}

وفي الإنفاق أيضا تطهير من السيئات ومحو للذنوب والخطيئات، كما في الخبر: ((الصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار)).^{١٧٨}

بل قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((والصدقة برهان)) قال النووي رحمه الله: "معناه الصدقة حجة على إيمان فاعلها فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدونها فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه".^{١٧٩}

في مقابل أن الشح والبخل من الأخلاق السافلة وسماة المنافقين، ولذلك قال الله تعالى: {وَمَنْ يُوقْ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، وحذر منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((إياكم والشح، وإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا)).^{١٨٠}

^{١٧٧} صحيح البخاري ١٤١٧ (٢/ ١١٠)، صحيح مسلم ١٠١٦ (٢/ ٧٠٤).

^{١٧٨} مسند أحمد ١٥٢٨٤ (٢٣/ ٤٢٥).

^{١٧٩} شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠١).

^{١٨٠} رواه أبو داود بسند صحيح ١٦٩٨ (٢/ ١٣٣).

فالصيام والصدقة تزكي النفوس وتطهرها من أدرانها؛ ولذا فقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من البخل: (أعوذ بك من الجبن والبخل).
قال حبيش بن مبشر الثقفي: "قعدت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً".^{١٨١}
ومن المعلوم أن في المال حقاً لله تعالى غير الزكاة المفروضة، فقد قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج: ٢٥]، فقال بعض العلماء هو حق سوى الزكاة من الصدقات وأعمال البر غير المحددة، قال ابن عباس: "هو سوى الصدقة؛ يصل بها رحمه، أو يقري بها ضيفاً، أو يحمل بها كلاً أو يُعين بها محروماً".^{١٨٢}
والجود بالمال على تنوعه، فليس هو الصورة الوحيدة للجود، فهناك جود بغير المال ويعدّ من الصدقات المتطوع بها، وقد تفوق الجود بالمال أحياناً، فعلى المسلم أن يجود على نفسه بها في رمضان وغيره طلباً لمرضاة الله تعالى والدار الآخرة.

يقول ابن رجب رحمه الله: "والصدقة بغير المال نوعان:

أحدهما: ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق، فيكون صدقة عليهم، وربما كان أفضل من الصدقة بالمال، وهذا كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

^{١٨١} الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ٣١٣).

^{١٨٢} تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٦١٣).

فإنه دعاء إلى طاعة الله، وكف عن معاصيه، وذلك خير من النفع بالمال، وكذلك تعليم العلم النافع، وإقراء القرآن، وإزالة الأذى عن الطريق، والسعي في جلب النفع للناس، ودفع الأذى عنهم. وكذلك الدعاء للمسلمين والاستغفار لهم.. كما في حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإمادتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة..."

والنوع الثاني من الصدقة التي ليست مالية: ما نفعه قاصر على فاعله،
كأنواع الذكر: من التكبير، والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والاستغفار، وكذلك المشي إلى المساجد صدقة".^{١٨٣}

ولذلك لما شكوا فقراء الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا:
ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلاء، والنعيم المقيم يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها، ويعتصرون، ويجاهدون، ويتصدقون، قال: ((ألا أحدثكم إن أخذتم أدركتم من سبقكم ولم يدركم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرائه إلا من عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين)) قال

^{١٨٣} جامع العلوم والحكم (٢/٦٦).

الراوي:فاختلفنا بيننا، فقال بعضنا: نسبح ثلاثا وثلاثين، ونحمد ثلاثا
وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين، فرجعت إليه، فقال: ((تقول: سبحان الله،
والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين)).^{١٨٤}
فمن فضل الله تعالى أن نوع في أبواب البرِّ وأنواع الصدقات ليسهم كل
مسلم بما يستطيع من مال أو غيره، وخاصة في هذا الموسم العظيم، موسم
المتاجرة مع الله تبارك وتعالى.

اللَّهُمَّ قِنَا شَحَّ أَنْفُسِنَا، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ .
اللَّهُمَّ آتْ نَفُوسِنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا.
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبَخْلِ
وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ .
وَصَلِّ اللَّهُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

^{١٨٤} صحيح البخاري ٨٤٣ (١/١٦٨).

الحلقة (٢٣)

[القرآن في رمضان]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الصلة والعلاقة بين القرآن ورمضان وصيامه علاقة وثيقة منذ نزوله؛ فقد اختار الله تعالى أفضل وأشرف كتبه - وهو هذا القرآن - فأنزله في أشرف شهر من شهور السنة {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} وفي أشرف ليلة وهي ليلة القدر {إنا أنزلنا في ليلة مباركة} على أشرف خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة أشرف ملائكته {نزل به الروح الأمين} على أشرف أمة وهي أمة الإسلام {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] وبأشرف لسان {بلسان عربي مبين} وكان ابتداءؤه في أشرف بقعة في مكة المكرمة.

فجمع الله له الشرف التام فكمل من كل الوجوه ولهذا قال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [سورة يوسف: ٣].

قال نافع رحمه الله: " إن هذا القرآن العظيم، جاء من عند عظيم، فإذا قرأت فلا تشتغلن بغيره، وانظر من تخاطب، وإياك أن تملّ منه أو تؤثر غيره عليه". ١٨٥

وقد سمّاه الله تعالى روحاً: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى: ٥٢] لتوقّف الحياة الحقيقية عليه.

وسمّاه نوراً {وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى: ٥٢] لتوقّف الهداية الحقيقية عليه.

وسمّاه شفاءً {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً} [سورة فصلت: ٤٤] لتوقّف السلامة والعافية الحقيقية عليه.

ولذا فقد أمر الله تعالى نبيه بتلاوته {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الكهف: ٢٧].

وأثنى الله تعالى على المؤمنين التالين لكتابه وجعله من أفضل الأعمال وأجل القربات، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٢٩-٣٠]. وخصّ منهم حفظته الذين يحملونه في صدورهم {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٩] فمن

١٨٥ مسالك الأبصار للعمري (٢٣٠/٥).

خصائص هذه الأمة أنها تحمل قرآنها في صدورها على خلاف الكتب الأخرى. فهو محفوظ في الصدور مسطور في الزبور، يسير على الألسنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظاً ومعنى {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: ١٧].

أما الصلة والعلاقة بين القرآن وبين شهر القرآن (رمضان) فتتجلى في مظاهر وأمور متعددة منها:

١- أن الله تعالى اختار هذا الشهر الكريم لتنزيل كتابه العزيز - كما تقدم - قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة ١٨٥].

٢- واختار تعالى من هذا الشهر ليلة مباركة لتنزل القرآن فيها {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} [سورة الدخان: ٣]، ومن بركة القرآن جعلها الله تعالى أشرف الليالي وأعلاها قدراً وأعظمها أجراً {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [الفجر: ١-٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من قام ليلة القدر

إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).^{١٨٦}

^{١٨٦} تقدم تخرجه.

٣- وشرع الله تعالى في هذا الشهر المبارك الصيام {فمن شهد منكم الشهر فليصمه} وذلك -والله تعالى أعلم- لما في الصيام من صفاء للفكر وتزكية للنفس ونقاء للقلب؛ فتسمو بذلك النفس وتكون مهياً، وقابلة لحسن التعامل مع كتاب ربها تدبراً وتعلماً وتلذذاً؛ فتقبل إليه بلهف وشوق لتستقي منه منهج حياتها وسبيل عزها ومجدها وسعادتها وطوق نجاتها.

٤- ومن هذه العلاقة بين الصيام والقرآن أنها يشفعان للعبد يوم القيامة فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ((الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب إني منعتك الطعام والشهوات بالنها فشفعني فيه، ويقول القرآن أي رب منعتك النوم بالليل فشفعني فيه، فَيُشَفَّعَانِ)).^{١٨٧}

ولذلك فلا غرو أن نجد النبي صلى الله عليه وسلم يعطي القرآن في رمضان مزيد اهتمام وعناية واستحضار. فنبينا صلى الله عليه وسلم مع أنه قد ضمن الله تعالى له حفظ كتابه في صدره فقال تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئاً.^{١٨٨}

^{١٨٧} تقدم تخرجه.

^{١٨٨} تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٠).

وقال عز وجل: {لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ} [المزمل: ١٦-١٧]. مع هذه الضمانات والوعد القاطع من الله
تعالى إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين من حديث ابن
عباس رضي الله تعالى عنها قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان
يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه
وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) وفي الرواية الأخرى: (لأن جبريل
كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان، حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح
المرسلة).^{١٨٩}

وفي آخر عام - كما قالت فاطمة رضي الله تعالى عنها -: (عارضه به في
العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقا بي، ونعم
السلف أنا لك، فبكيت لذلك).^{١٩٠}

فظاهر الأحاديث أن هذه المدارس في كل رمضان منذ نزول القرآن،
وأن كلاً منها يعرض على الآخر، ويتدارسونه عليها السلام.^{١٩١} فما أعظمه

^{١٨٩} صحيح البخاري ٤٩٩٧ (٦/١٨٦).

^{١٩٠} صحيح مسلم ٢٤٥٠ (٤/١٩٠٥).

^{١٩١} ينظر: فتح الباري (٥٧/٩).

من لقاء، يلتقي فيه العظيمان، عظيم الملائكة وعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام لمدارسة أعظم الكتب نزولاً إلى أهل الأرض.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبّ أن يسمعه من غيره وقال لابن مسعود رضي الله عنه: ((اقرأ علي)) قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: ((فإني أحب أن أسمع من غيري)) فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً} [النساء: ٤١] قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان. ١٩٢ وعند مسلم: (فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل). ١٩٣

فحريّ بالمسلم أن يقتدي بنبيّه صلى الله عليه وسلم في الاهتمام بكتاب ربه وخاصة في شهر القرآن، وهو أحوج ما يكون إلى مراجعته ودراسته، وتدبره وتفهمه وثبت حفظه، والتّقرب إلى الله تعالى بكل حرف يتلوه أو يتعلمه أو يعلمه غيره ويستمع إليه من غيره.

كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)). ١٩٤

١٩٢ صحيح البخاري ٤٥٨٢ (٦/٤٥)، صحيح مسلم ٨٠٠ (١/٥٥١).

١٩٣ صحيح مسلم ٨٠٠ (١/٥٥١).

١٩٤ رواه الترمذي، وقال حسن صحيح غريب (١٧٥/٥).

كما حثَّ صلى الله عليه وسلم على مدارسته، وعمارة بيوت الله تعالى به تلاوةً ومدارسةً فقال صلى الله عليه وسلم: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)).^{١٩٥}

وأمر صلى الله عليه وسلم بتعاهده وقال: ((تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتا من الإبل في عقلها)).^{١٩٦}

وقد كان هدي السلف الصالح رحمهم الله تعالى الاشتغال بالقرآن في شهر القرآن لا يشغلهم عنه شاغل في أثناء الصيام وأثناء القيام وفي كل الأحوال، يسمعون ويستمعون إليه ويتدارسونه ويعلمونه ويتلونه حق تلاوته. قال ابن مسعود رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته: أن يجل حلاله ويحرم حرامه، ويقراه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله).^{١٩٧}

نعم؛ قد علم سلفنا الصالح أن وظيفة رمضان الكبرى هي الاعتناء بالقرآن، والقيام بالقرآن والصيام لما له من أثر في تخليه الذهن للقرآن، سئل الزهري رحمه الله تعالى عن العمل في رمضان فقال: "إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام" وقال عبد الرزاق: "كان الثوريُّ إذا دخل رمضان ترك

^{١٩٥} صحيح مسلم ٢٦٩٩ (٤ / ٢٠٧٤).

^{١٩٦} صحيح مسلم ٧٩١ (١ / ٥٤٥).

^{١٩٧} تفسير الطبري = جامع البيان (٢ / ٥٦٧).

جميع العبادات وأقبل على تلاوة القرآن". وحكى ابن عبد الحكم عن مالك أنه إذا دخل رمضان، يفرُّ من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن، من المصحف.^{١٩٨}

ولذلك كان للسلف وصالحى الخلف عناية فائقة في الإكثار من ختمات القرآن، حتّى بلغ بعضهم أنه يختم في اليوم والليله بختمه أو ختمتين، وقد رخص بعض العلماء في أن يختم القرآن في أقل من ثلاث لخصوصية هذا الشهر بالقرآن.

فعلينا استثمار هذا الموسم العظيم وفي كل الأوقات بما يطهر الله به قلوبنا ويمحو ذنوبنا ويزيد إيماننا، ويرفع درجاتنا، فحياة القلوب إنما هي بالصيام والقيام في الليل بالقرآن.

وعلينا أن نحمد الله على ما خصنا به من النعم التي لا تحصى، فكثير من إخواننا المسلمين يحفظون القرآن ويضبطون تلاوته أكثر من العرب لكنهم لا يفقهون معانيه لأنهم لا يعرفون العربية؛ فيلجؤون إلى كتب الترجمات وليست كحال تذوق وتدبر وفهم المعاني مباشرة من الألفاظ العربية. فالحمد لله كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك، والشكر على جميل إحسانه.

^{١٩٨} وظائف رمضان (ص: ٤٢).

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم
الراحمين.

اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمامك نواصينا بيدك، ماض فينا
حكمتك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك،
أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم
الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا،
وذهاب همومنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٢٤)

[استقبال العشر الأواخر]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

بالأمس القريب كنا نستقبل ونتبادل التّهاني بحلول هذا الشهر المبارك، والآن قد مضى من الشهر الثّلاثان ولم يبق منه إلا الثّلاث، بل بقي منه أفضله. فيه ليلة خير من ألف شهر لمن وفقه الله لقيامها، قال ابن رجب رحمه الله: "لكل زمان فاصل من ليل أو نهار فإن آخره أفضل من أوله، كيوم عرفة، ويوم الجمعة، وكذلك الليل والنهار عموماً آخره أفضل من أوله" ١٩٩.

وهذه فرصة عظيمة لمن أكرمه الله بإدراك هذا الشهر صحيحاً معافاً، والناس فيه رجالان:

أ- إما محسن فليحمد الله على ذلك، وليجتهد فيما بقي، بل كلما تقدم الشهر فينبغي للمؤمن المزيد من العطاء والاجتهاد، وليحذر أن يكون فتوره في وقت الغنائم، وفي آخر ميدان السباق.

١٩٩ لطائف المعارف (ص ٤٠٩).

ب- وإما مقصر، فليستغفر الله على تفريطه، وليغتتم الفرصة، فلا زالت سانحة وأبواب الخير مشرعة فالبدار البدار قبل فوات الأوان، والعبرة ليست في تعثر البدايات، وإنما في كمال النهايات، وليحذر من الضعف عن الطاعة، والكسل والفتور عنها؛ فإنها من أمراض القلوب الخطرة.

قال الحسن البصري رحمه الله: "إن الله جعل شهر رمضان مضماراً للخلق، يستبقون فيه بطاعته لمرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف قوم فخابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه الفائزون، ويخسر فيه المبطلون".^{٢٠٠}

واجتهاد المسلم في هذه العشر المباركة مع تقصيره في أول الشهر خير من تقصيره في آخره؛ لأن (الأعمال بالخواتيم) كما قال صلى الله عليه وسلم. والمقصود أننا الآن مقبلون على زبدة الشهر وخلاصته، وأفضل أيامه ولياليه وهذا يقتضي منا مضاعفة الجهود، والمسابقة إلى كل خير، ومما يعين على ذلك هو الوقوف على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة لكل مرید للخير حريص على النجاة، فقد كان صلى الله عليه وسلم يخص هذه العشر بأكثر مما كان عليه منذ دخول الشهر، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت كل حياته من ليل أو نهار هي لله تعالى، وفي الله ومن أجل الله، يعمرها بأنواع العبادات والقربات لله عز وجل، ولكنه يخص بعض

^{٢٠٠} إحياء علوم الدين (١/ ٢٣٦).

الأوقات الشريفة بمزيد فضل وعناية وزيادة جدّ واجتهاد وتنوع في العبادات، فكيف كان حاله صلى الله عليه وسلم إذا أقبلت العشر. تصف لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها حاله في العشر الأواخر فتقول:

- كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره. ٢٠١

- وتقول رضي الله تعالى عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا دخلت العشر شمّر وشدّ المنزلة). ٢٠٢
- وتقول رضي الله تعالى عنها كما في الصحيحين: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شدّ منزله، وأحيا ليله، وأيقظ أهله). ٢٠٣
وهذا يدلّ على أن هذه العشر الأواخر فضيلة، ومزية على غيرها، وقد ذكرت عائشة رضي الله تعالى عنها للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر أربع حالات:

١- (شدّ منزله) أي اعتزل نساءه مبالغة في إحياء الليل بالقيام والقرآن والذكر، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع من النساء مدة اعتكافه، وقيل: كناية عن شدة جدّه

٢٠١ مسلم (١١٧٥).

٢٠٢ رواه أحمد (٢٥١٣٦).

٢٠٣ البخاري (١٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).

واجتهاده في العبادة، فإن العامل المجتهد يشدّ على وسطه بشيء يعينه على الاجتهاد.

٢- (أحيا ليله) أي سهره، فأحياه بالطاعة ولم يمته بالمعصية أو الغفلة والنوم، والمعنى أحياه بالقيام والتلاوة والذكر وسائر أنواع التعبد لله عز وجل.

وأما ما ورد عن النهي عن قيام الليل كله فهذا محمول عند أهل العلم على من داوم عليه جميع ليالي السنة.

وتأمل (أحيا ليله) فهذا هو الإحياء الحقيقي للزمن والعمر والليالي والأيام، لا ما يطلق الناس من إحياء الليل بالطرب والغناء ومزامير الشيطان.

٣- (أيقظ أهله) أي زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهم، ومن عنده من أهل بيته يوقظهن ليشاركنه العبادة والطاعة، قالت زينب بنت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقي من الشهر عشرة أيام لم يذر أحداً من أهل بيته يطيق القيام إلا أقامه).^{٢٠٤}

وفي هذا بيان لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العشر الأواخر وإعانته أهله وأحب الناس إليه لاغتنام الغنائم. وفيه

^{٢٠٤} قيام الليل لابن النصر المروزي (ص ٢٤٧).

مشروعية اهتمام الرجل بأهله وأولاده في حثهم على الطاعة وأنواع العبادة ومنها قيام الليل، وفي ذلك أحاديث كثيرة لا يسع المجال لذكرها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحریم: ٦].

٤- ومن خصائص هذه العشر: سنة الاعتكاف.

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: (كان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل).^{٢٠٥}

والاعتكاف هو لزوم المسجد لطاعة الله عز وجل، والتفرغ لمناجاته. والاعتكاف سنة متبعة ومشروع باتفاق، وقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز {طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة: ١٢٥]

وتركه صلى الله عليه وسلم مرة ففضاه في شوال.^{٢٠٦}

واعتكف مرة في العشر الأول ثم الأوسط، ثم العشر الأخير يلتمس ليلة القدر، ثم لما تبين أنها في العشر الأخير^{٢٠٧} داوم على اعتكافه حتى لحق ربه عز وجل.

وكان يعتكف عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً، كما كان جبريل عليه السلام يعرض عليه صلى الله عليه وسلم القرآن في كل سنة مرة إلا أنه عرض عليه في السنة التي قبض فيها مرتين.

^{٢٠٥} متفق عليه.

^{٢٠٦} البخاري ٢٠٤، ومسلم ١١٧٣.

^{٢٠٧} مسلم ١١٦٧.

قال الزهري: "عجبا للمسلمين تركوا الاعتكاف مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل".^{٢٠٨}
وهو من العبادات الضرورية لصلاح القلب، لأن أكثر ما يفسد القلب الملهيات والشواغل التي تصرفه عن الإقبال على الله عز وجل من شهوات المطاعم والمشارب والمناكح وفضول الكلام وفضول النوم وفضول الصحبة وغير ذلك من الصوارف.

فشرع الله تعالى قربات تحمي القلب من غفلة تلك الصوارف.. فشرع الصيام درعاً للقلب يقيه مغبة الصوارف الشهوانية، وشرع الاعتكاف لحمايته من فضول الصحبة والمخالطة والكلام، والاشتغال بالدنيا وملهياتها، ليسلم للعبد قلبه ويبقى أبيضاً ناصعاً نقياً ليسلم صاحبه {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨-٨٩].

٥- وخامس هذه الخصال هو تحري ليلة القدر في كل ليالي العشر لعله أن ينال الفوز الأبدي لمن وفقه الله تعالى لقيامها، وهذه لها شأن آخر لعله يخصص لها حلقة مستقلة بإذن الله.

اللهم اجعلنا ممن صام هذا الشهر وقامه إيماناً واحتساباً، ووفقنا لقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً.

^{٢٠٨} فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٨٥).

اللّٰهُمَّ اعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.
اللّٰهُمَّ آت نفوسنا تقواها وزكّها أنت خير من زكاها أنت وليها
ومولاها.
اللّٰهُمَّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها وخير أيامنا
يوم نلقاك.
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٢٥)

[تحري ليلة القدر]

الحمد لله الذي منّ علينا بمواسم الخيرات، وما تفضل به من جزيل الهبات، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد أفضل البريات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ما دامت الأرض والسموات وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاستكملاً للحديث عن خصائص هذه العشر المباركة التي سبق الكلام عليها في الحلقة الماضية. بقي الحديث عن مسك الختام وبدر التمام، وهو الكلام عن ليلة القدر وما أودع الله تعالى فيها من الهبات والبركات. والقدر بمعنى: الشرف والتعظيم، أو بمعنى: التقدير والقضاء، لأنه يقدر الله تعالى فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة، ولذلك قال الله تعالى: { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ [سورة الدخان: ٤-٥] ولأن للطاعات فيها قدراً عظيماً.

وليلة القدر هي في رمضان؛ لأن الله تعالى أخبرنا أنه أنزل فيها القرآن، وقد أخبرنا تعالى أنه أنزله في رمضان، قال تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} [القدر: ١] وقال عز اسمه: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة: ١٨٥]؛ فبهذا تعين أن

تكون في رمضان، وتبتدئ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٥].

وهي في العشر الأواخر من رمضان لقوله صلى الله عليه وسلم: ((تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان)).^{٢٠٩}

وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((تحروا ليلة القدر في الوتر، من العشر الأواخر من رمضان)).^{٢١٠}

ويحتمل أن تكون في الأشفاع أيضاً لأنه صلى الله عليه وسلم قال: ((التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر، في تاسعة تبقى، في

سابعة تبقى، في خامسة تبقى)).^{٢١١} وهذه تكون في الأشفاع إذا كان الشهر تاماً، كما حرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.^{٢١٢}

وقد خصّ الله تعالى هذه الليلة بخصائص وفضائل متعددة، تقتضي ألا يفترط المسلم الحريص على نجاته نفسه، ألا يفترط دقيقة واحدة منها ليشرف بما فيها من الفضل العظيم.

ومن هذه الفضائل والخصائص العظيمة:

^{٢٠٩} صحيح البخاري (٤٧/٣)، صحيح مسلم (١١٦٥/٢) (٨٢٣).

^{٢١٠} صحيح البخاري ٢٠١٧ (٤٦/٣).

^{٢١١} صحيح البخاري ٢٠٢١ (٤٧/٣).

^{٢١٢} ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨٤/٢٥-٢٨٥).

١- أن الله تعالى أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

٢- أن الله تعالى يقدر فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة، كما قال تعالى: { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } [سورة الدخان: ٤].

٣- أن الله تعالى وصفها بأنها مباركة فقال: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } [سورة الدخان: ٣] ومن بركتها إنزال هذا القرآن المبارك فيها وكونها خير من ألف شهر.

٤- أنها خير من ألف شهر، فالعمل الصالح فيها خير من عملٍ في ألف شهر، وهو ما يعادل ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر.

٥- أن جبريل عليه السلام والملائكة تنزل فيها، وهم لا يتنزلون إلا بالخير والبركة والرحمة، قال تعالى: { تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ } [القدر: ٤].

٦- أنها سلام، لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله، فكم من عبد قد عافاه الله فيها فخرج من ذنوبه في تلك الليلة كيوم ولدته أمه.

٧- أن الله تعالى أنزل في فضلها سورة تُتلى إلى يوم القيامة.

٨- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عنها: ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه)) متفق عليه. ومعنى (إيماناً) أي بالله

تعالى وبما أعدّه الله من الثواب للقائمين فيها واحتساباً للأجر وطلب الثواب. وهذا فضل عظيم.

- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلتمس الاعتكاف في الليالي التي هي مظنة ليلة القدر. ولذا اعتكف صلى الله عليه وسلم في العشر الوسط، ثم لازم الاعتكاف في العشر الأواخر لما تبين له أن ليلة القدر فيها. ٢١٣

٩- أن من خصائصها أن الله تعالى قد أخفى علمها على العباد.

وذلك تحفيزاً لهم للإكثار من الطاعات في تلك الليالي الفاضلة بالصلاة والذكر والدعاء، وسائر أعمال البر والقربات. قال الحافظ بن حجر رحمه الله: " قال العلماء الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها، وبخلاف لو عيّنت لها ليلة لاقتصر عليها". ٢١٤

ولا ينبغي للمسلم إشغال نفسه بتتبع الرؤى والمنامات والعلامات الدالة على تلك الليلة، كيف وقد أخفيت على النبي صلى الله عليه وسلم وأنسيها فغيره من باب أولى. والعلامات إنما تظهر لمن ظهرت له بعد انقضاء وقتها، ولم يثبت في الأحاديث الدالة على العلامات إلا حديث طلوع الشمس لا شعاع لها، فقد رواه مسلم. ٢١٥ وبقيتها بين ضعيف وموقوف.

٢١٣ صحيح مسلم (١١٦٧).

٢١٤ فتح الباري (٤/٢٦٦).

٢١٥ صحيح مسلم (٧٦٢).

إنما الذي يُشرع في ليلة القدر هو الاجتهاد والحرص على عدم التفريط في شيء من أوقاتها بمختلف أنواع العبادات والقرب، ومن ذلك:

١- القيام. مع الإمام أو منفردا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه)). وذهب بعض أهل العلم إلى أن العمل في ليلة القدر إنما هو القيام فقط، وما يلحقه من أعمال، دون سائر الأعمال الأخرى.

ومن قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة.

٢- الاعتكاف. وتقدم اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر تحريراً لليلة القدر.

٣- الدعاء والتضرع لله تعالى، والاهتمام بالأدعية الماثورة وجوامع الدعاء فهو أنفع وأقرب للقبول. وقد سألت عائشة رضي الله عنها: إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: ((قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)).^{٢١٦}

٤- العمل الصالح. قال كثير من المفسرين عند آية: {ليلة القدر خير من ألف شهر} أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

^{٢١٦} مسند أحمد ٢٥٣٨٤ (٤٢ / ٢٣٦).

فحري بالمسلم الاجتهاد فيها، وقد ورد في الحديث التحذير من التفريط فيها، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم)).^{٢١٧}

فنسأل الله العليّ العظيم بمنّه وكرمه أن يوفقنا جميعاً لاغتنام هذه الليلة العظيمة، وأن يجعلنا ممن يقومها إيماناً واحتساباً، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين.

اللهم اجعلنا ممن صام الشهر وقامه إيماناً واحتساباً، ومن وُفق لقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً.

اللهم اجعلنا من السابقين للخيرات، الهارين من المنكرات، الآمنين في الغرفات، مع الذين أنعمت عليهم ووقيتهم السيئات.
اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

^{٢١٧} مسند أحمد ٧١٤٨ (١٢ / ٥٩).

